البلاغة من منابعها

القسم الثاني

البيان والبديع

الدكتور محمد هيثم غرّة
مدّرس البلاغة و العروض في جامعة دمشق

جميع الحقوق محفوظة

2017 م - 1439 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة :

هـــذا الكتاب الثاني من (البلاغة من منابعها) جعلناه للحـــديث عـــن البيان والبديع في البلاغة العربية، كما جعلنا الكتاب الأول للحديث عن علم المعاني، وبهـــذا تصبح علوم البلاغة الثلاثة بين يدي أهل العلـــم وشـــداته والمهتمّين به مأخوذة من النبع الصافي من كتب البلاغة الأمّ، كتب الجاحظ والجرجاني والقزويني، ومعروضة بأسلوب مقبول وطريقة حديثة بعيدة عـــن الصعوبة واختلافات أرباب هـــذا العلم.

وأحببنا أن يعرف الطالب بعدما مرّ به في الكتاب الأول من الحـــديث عن تاريخ البلاغة العربية ومراحل التأليف فيها ثمّ منـــــزلتها بـــين العلـــوم الأخرى من علوم اللغة العربية، أحببنا أن يعرف الفرق بين البلاغة والفصاحة فوضعنا له مقدّمة تفي بالغرض آثرنا فيها الإيجاز و الوقوف على ما هو شائع حتى تكون الفائدة أوثق ويتحقّق الهدف الذي رمينا إليه وهو إيصال الفكرة إلى القارئ صافية خالية من الشوائب، ولّما كنّا نؤمن بأنّ البلاغة تحتـــاج إلى شواهد لتطبيق الفكرة النظرية أكثرنا من الشواهد، وألحقنـــا كـــل بحـــث بمجموعة تدريبات قمنا بالإجابة عن بعضها وتركنا شيئاً ليُعمل الطالب فيه ذهنه، و الله من وراء القصد.

المؤلف

بين الفصاحة والبلاغة

الفصاحة في اللغة من فصح الرجل فصاحة فهو فصيح، أي: طلق اللسان بيّن الحروف، ألفاظه ظاهرة مكشوفة وكلامه واضح.

وأفصح عن الشيء إفصاحاً بيّنه وكشفه، واليوم المفصح اليوم الذي لا غيم فيه ولا قُرّ، وفصح اللبن إذا أُخذت عنه الرغوة، قال نضلة السُّلمي:

رأوه فازدروه وهو خِرقٌ ... وينفع أهله الرجل القبيحُ

فلم يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الفصيحُ

وأفصح الصبح بدا ضؤوه واستبان[1].

ولعلّك أدركت من خلال ما نقلناه لك في الفصاحة لغةً أنّ المعاني التي يدور عليها هذا الجذر اللغوي هي معاني الوضوح والجلاء والانكشاف والظهور والبيان والنقاء، وإذا أردت أن تنتقل إلى المعنى الاصطلاحي فإنّك لن تخرج عما قرأت من هذه المعاني، لأن فصاحة الكلمة خلوّها من الشوائب، وفصاحة الكلام خلّوه ممّا يكدّره، وفصاحة المتكلم خلّو لسانه من العيوب ونقاء عارضته .

فالفصاحة صفة للكلمة المفردة وصفة للكلام المركّب وصفة للمتكلّم.

تتحقق في الكلمة المفردة إذا خلت هذه الكلمة من ثلاثة عيوب:

١- لسان العرب مادة فصح.

الأول: تنافر حروفها الذي قد يتسبّب عن تقارب المخارج أو تشابهها، قال ابن سنان الخفاجي: ((الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر.

ولاشك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة لقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود[1])).

لذلك استبعدوا من الفصاحة كلمة (الهعخع) لتقارب مخارج الحروف فيها ومعناها الكلأ، و(الصهصلق) ومعناها الشديد من الأصوات.

الثاني: غرابتها وندرة استعمالها وغموض معناها مثل كلمة (مسحنفرة) بمعنى متّسعة و(الحيزبون) بمعنى المرأة العجوز، و(عساليج الشوحط) بمعنى أغصان البان.

الثالث: مخالفتها للقياس ككلمة الأجلل في شعر أبي النجم :

الحمد لله العلي الأجلل

والقياس: الأجلّ، وكلمة (نواكس) في شعر الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

والقياس (ناكسي) جمع ناكس قال تعالى (ناكسو رؤوسهم).

وتتحّقق الفصاحة في الكلام المركب إذا خلا من ثلاثة:

١- سر الفصاحة : ٦٤.

الأول: تنافر الألفاظ: قال ابن سنان[1]: وما زال أصحابنا يعجبون من قول الشاعر:

لو كنتُ كنتُ كتمتُ الحبّ كنت كما

كنّـــا نكـــون ولكـــنْ ذاك لم يكـــنِ

الثاني: ضعف التأليف، وهو أن يكون الكلام جارياً علـــى خـــلاف المشهور من قواعد النحو كإعادة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة كما في قول الشاعر:

ولو أنّ مجـــداً أخلـــد الـــدهر واحـــداً

من الناس أبقـــى مجـــده الـــدهر مُطْعِمـــا

فالضمير في (مجده) يعود على (مطعم) اللفظ المتأخر، وهو هنا مطعم بن عدّي.

الثالث: التعقيد والمعاظلة، أي دخول الكلام بعضه في بعض، ومثالـــه عندهم بيت الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وما مثْلُهُ في الناس إلا مُمَلّكـــاً أبو أمّه حـــيّ أبـــوهُ يقاربُـــهْ

يقول: ليس أحد من الناس يشبه هـــذا الممدوح في الفضائل إلا ملكـــاً هو ابن أخته.

وتتحقّق الفصاحة عند المتكلم في قدرته على التصرّف في فنون الكلام إذا خلا لسانه ممّا يتعلق بالكلمة والكلام من العيوب، ثم خلا مـــن عيـــوب

١- نفسه : ٩٧.

النطق والقول، يقول القزويني: إن فصاحة المتكلم ملكة يقتدر بها صـــاحبها على التعبير عن مقصوده بلفظ فصيح[1].

أما البلاغة فمأخوذة من فعل بلغ بمعنى وصل وانتهى، وبلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، ومبلغ الشيء منتهَاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته.

وسمّيت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه[2].

فمعنى الوصول و الانتهاء هو ما يدور حوله هـــذا المصطلح، وعليه فإنّه يمكن تعريف البلاغة بقولنا: هي أن يوصل المتكلم كنه ما في نفسه إلى المخاطب بأسلوب حسن أو بصورة جميلة ، وقولنا بأسلوب حسن يشتمل على وجوب الفصاحة وكأنّها -على هـــذا- جزء من البلاغة لذلك قيل: كل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً.

يستطيع الطفل أن يوصل إلى أمّه معنى أنّه جائع، لكنّه لا يعدّ فصيحاً، ويستطيع طائر الببغاء أن يقيم الحروف مردّداً بفصاحة مطلقة لكنّه لا يسمّى بليغاً، مَن البليغ إذاً؟ نعود فنقول إنّه الذي يبلّغك ما يريده لكنْ بلبوس من الكلام الجميل.

بمعنى أنّه إذا كانت الفصاحة تعود إلى اللفظ فإنّ البلاغة تشتمل علـــى اللفظ والمعنى معاً، وإذا كانت الفصاحة صفة للكلمة المفردة والكلام المركّب

١- التلخيص: ص ٣٢.

٢- انظر الصناعتين : ص ١٥.

والمتكلّم، فإن البلاغة هي صفة للكلام وللمتكلم، فيقال: كلام بليغ ومتكلّم بليغ، ولا يقال: لفظة بليغة لأنّها تستمّد معناها من السياق الذي جاءت فيه.

وبعدما عرفته من العلاقة بين الفصاحة والبلاغة نسوق إليك تعريف القزويني للبلاغة، يقول: ((البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[1])).

وقد شرحنا لك في الجزء الأوّل من (البلاغة من منابعها) [2]معنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وقدّمنا إليك الأمثلة، ونضيف الآن قولنا: إنّ لجوء المتكلم إلى التصوير عن طريق التشبيه والمجاز والكناية يعدّ مطابقةً لمقتضى الحال، وإنّ لجوءه إلى تقديم أو تأخير أو حذف أو ذكر مطابقةٌ لمقتضى الحال، وإنّ ورود كلامه على نمط من أنماط البديع يعدّ أيضاً من مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهكذا، فإذا انضمّ إلى ذلك وجوه الفصاحة غدا المتكلم بليغاً ووسم كلامه بالبلاغة.

١- التلخيص: ص ٣٣.

٢- البلاغة من منابعها - علم المعاني - : ص ١٥-١٦.

علم البيان

علـــــم البيـــــان

لمحة عن نشأته وتطوّره :

اختلطت المباحث البلاغيّة بعضها ببعض منذ بداية الحديث عنـــها في كتب الأوّلين من علماء العربيّة، وكان معظمهم يطلـــق عليهـــا مـــصطلح (البيان)، فالاستعارة عندهم بيان وكذلك البلاغة والكناية والفصاحة وما إلى ذلك.

يقول عبد القاهر الجرجاني: ((ثمّ إنّك لا ترى علماً هو أرسخ أصـــلاً وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علـــم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدرّ وينفث السحر.....))[1].

فقوله: يحوك الوشي يجعل منه الجناس والمقابلة ومراعاة النظير وغيرها.

وقد نشأت في العصر الجاهلي مجموعة من الملاحظات البيانيّة، تطوّرت بعد ظهور الإسلام، ونمّاها استقرار العرب في الأمصار المفتوحة وتحضرّهم ونهضتهم العقلية ثمّ الجدل الشديد الذي احتدم بين الفرق الإسلاميّة المختلفة كالمعتزلة والأشاعرة والمرجئة.

وعندما نصل إلى العصر العباسي نجد أنّ هـــذه الملاحظات أخذت تدوّن، وبدأ العرب بتسجيلها وشرحها وتفصيلها ووضع الكتب فيها.

١- دلا ئل الإعجاز: ٥ــ ٦.

وكان من أبرز هـــذه الكتب كتب اللغويّين وكتب علماء الكلام.

فمن النمط الأوّل كتاب سيبويه الذي تحدّث فيه عن التقديم والتأخير والتعريف والتنكير، وكتاب معاني القرآن للفرّاء الذي عُني بتصوير خصائص التراكيب والإشارة إلى بعض الصور البيانية في القرآن الكريم.

ومن النمط الثاني صحيفة بشر بن المعتمر(المعتزلي) وقد ذكرها الجاحظ في (البيان والتبيين)، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ الذي جمع فيه جلّ ما انتهى إلى عصره من الملاحظات البلاغية، وأضاف حديثاً بديعاً عن التشبيه والاستعارة والمجاز، ومنه أيضاً كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة تحدّث فيه عن الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه.

ويلفت النظر إلي جانب ما ذكر:

كتاب (النكت في إعجاز القرآن) للرماني ت ٣٨٦هـــ تحدّث فيه عن أبواب البلاغة العشرة .

كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجـــاني ٣٦٦هـــــ وهو كتاب في النقد عُني بالحديث عن الاستعارة والتشبيه.

كتاب (العمدة) لابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦هـــ.

كتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـــ.

كتاب (أسرار البلاغة) وكتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٠هـــ.

كتاب (مفتاح العلوم) لأبي يعقوب السكاكي ت ٦٢٦هـــ.

كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير ت ٦٣٧هـ.

كتاب (الطراز) ليحيى بن حمزة العلوي ت ٧٤٩هـ.

كتاب (تلخيص المفتاح) للقزويني ت ٧٣٩هـ وما جاء بعده من شروحات وإيضاحات ومختصرات ومنظومات.

ويُعدّ كتابا عبد القاهر الجرجاني المذكوران النموذج الأروع في تقديم البلاغة العربية بلبوسها اللائق كما فهمها الرجل صاحبُ العقل الناقد النافذ إلى مواطن الإعجاز وبواطن الأدب، لهذا سنقف عند بعض المصطلحات البلاغية التي أوردها وتحدّث عنها.

الاستعارة: تحدّث عبد القاهر عن حدّ الاستعارة فقال: ((هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتُظهره وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوّة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً)) [1].

وتحدّث عن الاستعارة المفيدة والاستعارة القريبة من الحقيقة، وعن وجه الشبه العقلي فيها، وعن المبالغة في التشبيه، وبيّن أنّ الاستعارة ليست من التخييل، وردّ على من جعل الاستعارة من البديع - لعلّه أراد ابن المعتزّ- قائلاً: ((إنّ ذكرها في أقسام البديع يقتضي أنّ كلّ موصوف بأنّه مجاز فهو

١- دلائل الإعجاز: ٦٧.

بديع عندهم حتّى يكون إجراء اليد على النعمة بديعاً وتسمية البعير حَفَضاً والناقة ناباً والربيئة عيناً والشاة عقيقة بديعاً كلّه، وذلك بيّن الفساد))[1].

التشبيه والتمثيل: تحدّث الجرجاني عن أقسام التشبيه ووجوه الشبه المنتزعة من شيء أو أشياء، وتحدّث عن التشبيه في الهيئة التي تقع في الحركات، والجمع بين الشكل وهيئة الحركة في التشبيه، وعن قلب التشبيه، وفرّق بين التشبيه والتمثيل[2]، فقال: التشبيه عام والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً.

الحقيقة والمجاز: عرّف عبد القاهر الحقيقة والمجاز وفرّق بين نوعيه العقلي واللغوي[3].

وتعرّض لمكان الاستعارة من المجاز[4]، ووقف عند الكناية وبيّن السبب في قبحها، وذكر أنّها أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أفصح من التصريح، كما أنّ للاستعارة مزيّة وفضلاً وأنّ المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة[5].

١- أسرار البلاغة: ٣٤٧.

٢- أسرار البلاغة : ٨٦.

٣- أسرار البلاغة: ٣٢٠.

٤- أسرار البلاغة: ٣٣٠.

٥- دلائل الإعجاز: ٧٠.

تعريف البيان لغةً واصطلاحاً:

البيان لغةً الكشف والإيضاح، يقال: زيد أبينُ من عمرو أي أوضح منه كلاماً، والعرب تقول: بان الصبح لذي عينين، وفي القرآن الكريم ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، بمعنى أنّ القرآن يكشف ويبيّن الطرق السليمة التي ينبغي أن يسلكها المرءُ ويوضّح معالمها.

وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إنّ من البيان لسحراً))، تأخذ كلمة (البيان) معنى إظهار المقصود بأبلغ لفظ والكشف عنه بما يُقنع المخاطب لما فيها من معنى الإفحام وقوّة الحجّة وإثارة الإعجاب وشدّة وقع الكلام في النفس، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن.

وعندما صار البيان علماً قائماً بذاته على أيدي المتأخرين من البلاغيّين عرّفوه فقالوا: هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة[1].

ومعنى هذا التعريف أنّ في العربيّة غير طريقة للتعبير. فهنالك التعبير المباشر، وهناك التعبير البلاغي الفنّي وهو مادّة علم البيان من تشبيه ومجاز وكناية، بل هو موضوعات هذا العلم، يقول الدكتور علي الجندي: ((إنّك لواجد فنوناً من القول وضروباً من الكلام، فمن تشبيه إلى استعارة إلى كناية إلى لون آخر من ألوانها، وكلٌّ منها يتشقّق إلى شعب كثيرة تختلف في الزي

١- تلخيص المفتاح: ٢٣٥- ٢٣٦.

وتنسب إلى أصل واحد، ثمّ هي تتنافس في الحسن وتتبارى في الجمال وتتبرّج في معارض متباينة من الوضوح))[1].

نعود إلى معنى التعريف، هَبْ أنّه طُلب منّي ومنك ومنه ومنها أن نعبّر عن معنى من المعاني، وليكن الكرم وهو (المعنى الواحد) المشار إليه في التعريف، فسلكتُ أنا طريقة التعبير المباشر وقلتُ: زيدٌ كريمٌ جدّاً، وسلكتَ أنت طريقة التشبيه في التعبير عن المعنى ذاته فتمثّلتَ قول الشاعر:

هو البحر من أيّ النواحي أتيتهُ فلجّتُهُ المعروف والجود ساحلُهْ

وسلك هو طريقة الاستعارة في التعبير عن هذا المعنى فتمثّل قول المتنبيّ:

تعرّض لي السحابُ وقد قفلنا فقلتُ إليك إنّ معي السحابا

وسلكتْ هي طريقة الكناية فتمثّلتْ قول المتنبيّ:

لم أعرف الجود إلاّ مذ عرفتُ فتىً لم يولد الجودُ إلاّ عند مولده

وكلُّ هذه الأمثلة تدور حول (المعنى الواحد) الذي اخترناه هنا وهو معنى الكرم، إلاّ أنّك في الأوّل أمام تعبير مباشر، وهذا التعبير يقدر عليه وعلى أمثاله كثيرٌ من الناس على تفاوت ثقافاتهم ومعارفهم.

وفي الثاني والثالث والرابع أنت أمام تعبير غير مباشر، أمام تعبير فنّي بلاغي، التشبيه في (هو البحر) والاستعارة في (إنّ معي السحابا) والكناية في(لم يولد الجود إلاّ عند مولده)، ومثل هذا لا يقدر عليه إلاّ الموهوبون

١- فنّ التشبيه : ص ١٤.

من الناس كالشعراء والأدباء والخطباء وجهابذة الكلام الذين ملكوا ناصيته وعرفوا أبعاده وبلغوا فيه مرادهم فعرضوه بهذا اللبوس الجميل من الصور البيانيّة.

هذا معنى أنّ علم البيان علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد (وهو معنى الكرم في أمثلتنا المختارة) بطرق مختلفة في الدلالة أي التشبيه أو الاستعارة أو الكناية.

ولا يفوتنّك بعدئذ الفرق فيما بين هذه الأساليب الفنيّة، فإنّ التشبيه مثلاً يتفاوت قوّة وضعفاً، ويتفاوت وضوحاً وخفاءً، وكذلك الاستعارة والكناية فهي ليست جميعاً على درجة واحدة من البيان والبهاء والحسن والجمال.

موضوعات علم البيان:

يدرس علم البيان موضوعات التشبيه والمجاز-ومنه الاستعارة- والكناية وما يتفرع عنها، ويجعل هذا العلمُ التشبيه أوّل الموضوعات لبناء الاستعارة -وهي مجاز- عليه ، ثم يجعل المجازَ ثانيها، ثمّ يثلّثُ بالكناية، ونحن سنتبّع الترتيب ذاته.

التشبيه

التشبيه في اللغة المماثلة، وهو مصدر الرباعي(شبّه) تقول: شبّهتُ الأمر بالأمر تشبيهاً أي مثّلتُهُ به.

وفي اصطلاح البلاغيّين ورد له تعريفات كثيرة، فهو عند الرمّاني: العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدَّ الآخر في حسّ أو عقل[1]، وعند ابن رشيق: صفةُ الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنّه لو ناسبه مناسبة تامّة لكان إيّاه[2]. وعند القزويني : هو الدلالةُ على مشاركة أمر لآخر في معنى[3].

وإذا تابعتَ قراءة التعريفات التي خصّ بها البلاغيّون التشبيه فإنّك تجد معانيها كلّها تصبّ في عبارة واحدة وهي أنّ التشبيه مشاركةُ شيء لشيء بصفة أو أكثر.

والتشبيه أساس من أسس البلاغة عُني به علماؤنا وخصّوه بالحديث المفصّل كما فعل المبرّد (ت ٢٨٥هـ) عندما بيّن أن التشبيه كثير في كلام العرب حتّى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد[4].

وربّما دفع التشبيه بعض العلماء إلى التأليف في البلاغة وكان سبباً له، فإنّ أبا عبيدة معمر بن المثنّى (ت٢١٠هـ) يذكر في مقدّمة كتابه (مجاز القرآن)

١- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٨٠.

٢- العمدة : ١/٢٥٦.

٣- التلخيص: ٢٣٨.

٤- الكامل: ٣/٩٣.

أنّ سبب وضع هـــذا الكتاب سؤال وجّهه إليه معترض من الجهلة الملحدين عن التشبيه الوارد في قوله تعالى:

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٥]، زاعماً أنّه تشبيه غير عربيّ ليصل إلى أنّ القرآن غير عربيّ، محتجاً على ذلك بأنّ المشبّه به عند العرب ينبغي أن يكون أمراً معروفاً، ورؤوس الشياطين في الآية شيء غير معروف، فردّ عليه أبو عبيدة بالبيّنة والعقل مما دفعه -كما ذكرنا قبل قليل- إلى تأليف كتاب في هـــذا العلم وهو كتاب (مجاز القرآن).

وربّما دفع التشبيه -أيضاً- الشعراء والأدباء إلى المنافسة في براعة القول، يروى أنّ بشار بن برد قال: ما زلت أروي بيت امرئ القيس (إذ شبّه فيه شيئين بشيئين):

كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّابُ والحشفُ البالي

حتى قلتُ :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُـــهْ

وتشبيهات العرب كثيرة، وهم يشبّهون المرأة بالشمس و القمر والغزال والبقرة الوحشيّة والدرّة والبيضة، ويشبّهون عين المرأة بعين الظبي أو البقـــرة الوحشيّة، ويشبّهون الأنف بحدّ السيف، والرجلَ الكـــريم بالغيـــث والبحـــر والسحاب، والرجلَ القويّ بالأسد والسيف، قال كعب بن مالك الأنصاري: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ تبلّج وجهه فصار كأنّه البدر.

وقال الشاعر مشبّهاً عيني المرأة بعيني البقرة الوحشيّة:

فعيناك عيناها وجيدُك جيدُها ولكنّ عظم الساق منك دقيقُ

وقال آخر مشبّهاً بالغيث والسيف:

وإنك غيثٌ ينعشُ الناسَ سيبُهُ وسيفٌ أعيرتْهُ المنيّـــةُ قـــاطعُ

قال ابن طباطبا: ((وقد فاز قوم بخلالٍ شُهروا بها من الخير والشرّ صاروا أعلاماً فيها، فربّما شُبّه بهم فيكونون في المعاني التي احتووا عليها وذكروا بشهرتها نجوماً يُقتدى بهم وأعلاماً يُشار إليهم كالسموأل في الوفاء وحاتم في السخاء والأحنف في الحلم وسحبان في البلاغة وقسّ في الخطابة ولقمان في الحكمة ، فهم في التشبيه يجرون مجرى البحر والحيا والشمس والقمر والسيف ويكون التشبيه بهم مدحاً كالتشبيه بها، وكذلك أضداد هؤلاء قوم يُذمّون فيما شُهروا به يُشبّه بهم في حال الذم كباقل في العيّ وهبنّقة في الحمق والكسعي في الندامة))[1].

١- عيار الشعر: ص ٣٢.

أركان التشبيه

للتشبيه أربعة أركان هي: المشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويسمّى المشبّه والمشبّه به طرفي التشبيه الأساسيّين لأنّه لا يجوز حـــذفهما أو حذف أحدهما من أسلوب التشبيه ، أمّا الأداة والوجه فمن الممكن حذفهما أو حذف أحدهما وذكرهما أو ذكر أحدهما، وهـــذا رهن بمراد المتكلّم.

فنحن نقول مثلاً: زيد كالأسد في الشجاعة، ألا تلاحظ أنّ (زيـــد) و(الأسد) هما الركنان الأساسيان؟ إذ لا يُفهم التشبيه إلاّ بذكرهما في العبارة، لكنْ ربّما حذفتَ الأداة وقلت: زيدٌ أسدٌ في الشجاعة، وربّما حذفتَ الوجـــه وقلت: زيدٌ كالأسد، وربّما حذفتهَما معاً وقلت: زيدٌ أسدٌ.

الطرفان:

المراد المشبّه والمشبّه به كما عرفتَ قبل قليل، وهما إمّا حـــسّيان أي يدركان بالحواسّ، وإمّا عقليّان أي يدركان بالعقل، وإمّا مختلفان أي يـــدرك أحدهما بالحواسّ وثانيهما بالعقل.

الحسّيان:

كأن يشبّه الرجل عالي المنـــزلة ورفيع المكانة بالنجم، قال الشاعر:

أنـــتَ نجـــمٌ في رفعـــةٍ وضـــياءٍ تجتليك العيونُ شـــرقاً وغربـــا

فالمشبّه والمشبّه به (أنت نجم) حسّيان، أو يُشبّه الشعر الأسود بالليل، قال الشاعر:

فرعاءُ تسحبُ من قيامٍ شـــعرها وتغيبُ فيه وهو ليلٌ أســـحمُ
فكأنهـــا فيـــه نهـــارٌ مـــشرقٌ وكأنه ليـــلٌ عليهـــا مظلـــمُ

أو يُشبّه القدّ بالغصن أو بالألف، قال الشاعر:

غـــزالٌ فـــوق مـــا أصـــفُ كـــأنّ قوامـــه ألـــفُ

العقليان :

كأن يُشبّه العلم بالحياة والجهل بالموت، جاء في قصيدة أحمد شـــوقي مادحاً النبي عليه الصلاة والسلام:

أخوك عيسى دعا ميْتاً فقام لـــه وأنت أحييتَ أجيالاً من الرمم
والجهلُ موتٌ فإن أوتيتَ معجزةً فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم

فشبّه في البيت الثاني الجهل بالموت وكلاهما عقليّان.

المختلفان:

كأن يشبّه الغضب (وهو عقلي) بالنار(وهو حسّي)، أو تُشبّه الحجّـــة بالشمس، والليل بالصدود في قول الشاعر:

ربّ ليـــلٍ قطعتُـــهُ كـــصدودٍ وفراقٍ ما كـــانَ فيـــهِ وداعُ

والظلام بيوم النوى في قول الشاعر:

ولقد ذكرتك والظـــلام كأنّـــه يومُ النوى وفؤادُ مَنْ لم يعْشقِ

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

أداة التشبيه :

وهي الرابط بين المشبّه والمشبّه به، ولا بدّ منها في أسلوب التشبيه مذكورة أو مقدّرة أو مراداً معناها، يدخل تحت هذا الرابط كلّ ما أفاد تشبيهاً من الحروف والأسماء والأفعال.

فالحروف (الكاف وكأنّ) ، ومن الأسماء (مثل- مثيل- شبيه - نظير - صنو)، ومن الأفعال (يشبه - يماثل - يحاكي - يضاهي — يشابه...) وغير ذلك.

الأمثلة من الحروف: قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل:٥]، وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن:٥٨].

الأمثلة من الأفعال: قول الشاعر:

يكاد يحكيك صوبُ الغيث منسكباً لو كان طلقُ المحيّا يُمطر الذهبا

وقول الشاعر:

حكاني بهارُ الروض حين ألفتُهُ وكلٌّ مشوقٍ للبهارِ مصاحبُ

الأمثلة من الأسماء: قول الشاعر:

عزماتُه مثلُ النجوم ثواقباً لو لم يكنْ للثاقباتِ أفولُ

وقول الشاعر:

يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومنالا

وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالا

أنـــت مثـــل الـــورد لونـــاً ونـــــــسيماً ومـــــــلالا

زارنـــــا حتّـــــى إذا مـــــا ســـــرّنا بـــــالقرب زالا

بين الكاف وكأنّ:

بين هـــذين الحرفين فروق يحتاج المرء إلى التعمّق فيها حتّى تسلم لـــه معرفتها، منها:

* أنّ الكاف يليها المشبّه به مباشرة ، قال الشاعر:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزتَ كيوانَ في علـــوّ المكـــان

الشمس مشبّه به، وقالت الشاعرة:

كنّا كـــأنجم ليـــلٍ بيننـــا قمـــرٌ يجلو الدجى فهوى من بيننا القمرُ

وقال المتنبيّ مادحاً:

هذا الذي أبصرتُ منه حاضـــراً مثل الذي أبصرت منـــه غائبـــا

كالبدر من حيث التفـــتّ رأيَتَـــهُ يُهدي إلى عينيـــك نـــوراً ثاقبـــا

كالبحر يقذف للقريب جـــواهراً جوداً ويبعث للبعيـــد ســـحائبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مـــشارقاً ومغاربـــا

أمّا(كأنّ) فيليها المشبّه ، قال التهامي في رثاء ابنه:

وكـــأنّ قلـــبي قـــبره وكأنّـــه في طيّـــه ســـرٌّ مـــن الأســـرار

فـــ(قلبي) مشبّه، وقال غيره:

وليلة مـــشتاقٍ كـــأنّ نجومهـــا قد اغتصبت عين الكرى وهي نوّمُ

كأنّ عيـــون الـــساهرين لطولهـــا إذا شخصت للأنجم الزهر أنجـــمُ

* أنّ الكاف دائماً تدلّ على التشبيه، أمّا (كأنّ) فلا تدلّ على التشبيه إلاّ إذا كان خبرها جامداً كقولك: كأنّ زيداً بحرٌ، فإذا كان مشتقّاً لم يُعـــط معنى التشبيه وإنّما قد يعطي معنى ظننت أو توهّمت كقولك: كـــأنّ زيـــداً قائمٌ.

* أنّ الكاف أخفّ تشبيهاً من (كأنّ)، يقـــول حـــازم القرطـــاجنيّ: تستعمل كأنّ حيث يقوى الشبه حتّى يكاد الرائي يشكّ في أنّ المشبّه هـــو المشبّه به أو غيره ، لذلك قالت بلقيس[1]:

﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾، يشير القرطاجنيّ إلى العرش الذي أتى به سليمان عليـــه السلام من اليمن كما جاء في قولـــه تعـــالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[النمل: ٤٢].

وقريب من هـــذا الشكّ الذي يُفهمه التشبيه بـــ(كأنّ) ما جاء في قول الشاعر:

لما تبدّتْ من الأستار قلـــتُ لهـــا سبحان سبحان ربّي خالق الصورِ
ما كنتُ أحسبُ شمساً غيرَ واحدةٍ حتى رأيتُ لها أختاً مـــن البـــشرِ
كأنّهـــا هـــي إلاّ أنّ يَفـــضُلُها حسنُ الدلالِ وطرفٌ فاترُ النظـــر

* أنّ الكاف بسيطة وكأنّ مركّبة من إنّ وكاف التشبيه التي دخلـــت عليها ففتحت همزتها، وقيل إنّ (كأنّ) بسيطة أيضاً، قال السبكي: إذا كانت

١- منهاج البلغاء: ٣٠١.

(كأنّ) بسيطة فإنّ كثرة الحروف تدلّ غالباً على المبالغة في المعنى، لذلك قالت بلقيس ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ و لم تقل : هكذا هو[1].

هذا وثمّة أفعال أخرى تفيد معنى التشبيه مثل خلت وحسبت وعلمت، قال الشاعر:

قومٌ إذا لبسوا الدروع حسبتَها سُحُباً مزرّدة على أقمارِ

وقال آخر:

ولقد علمتُك في الكريهة ضيغماً أظفارُهُ بيضُ السلاح وسُمْرُهُ

قال ابن طباطبا: ((فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه: كأنّه أو قلت ككذا، وما قارب الصدق قلت فيه : تراه أو تخاله أو يكاد))[2].

١- عروس الأفراح: ٣/٣٩٤.

٢- عيار الشعر: ٣٢- ٣٣.

أقسام التشبيه بالنظر إلى أداته

التشبيه بالنظر إلى الأداة قسمان: مرسل ومؤكّد.

المرسل : الذي ذكرت فيه الأداة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [النور: ٣٥]، وكما في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: المؤمن للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً.

المؤكّد : الذي حذفت منه الأداة، حذفت من الذكر لكنّها مقدّرة في نفس المتكلّم.

وذلك كما في قول الشاعر:

هم البحور عطاءً حين تسألُهُمْ ... وفي اللقاء إذا تلقاهُمُ بُهمُ[1]

وقول الآخر:

فأنت غمامٌ والزمانُ خميلةٌ ... وأن سنانٌ والزمان قناةُ

وكون هذا التشبيه مؤكداً حاصل من ادّعاء أنّ المشبّه عين المشبّه به، انظر كيف عبّرت الآية الكريمة عندما شبهت مرور الجبال بمرّ السحاب في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨].

والتشبيه المؤكّد أبلغ من المرسل وأوجز، أبلغ لجعل المشبه مشبّهاً به من غير واسطة، وأوجز لحذف أداة التشبيه منه.

ويعدُّ منه ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه كما في قول الشريف الرضي:

١- بهم جمع بهمة وهو الشجاع.

أرسى النسيم بواديكم ولابرحـــتْ حواملُ المزن في أجداثكم تـــضعُ

وهو يريد السحب المشبهة بالحوامل من الحيوان بجامع ما في كلٍّ من المنفعة، وكما في قول غيره:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهبُ الأصيلِ على لجـــين المـــاءِ

وهو يريد الأصيل المشبّه بالذهب والماء المشبّه باللجين يعني الفضّة.

وجه الشبه :

وجه الشبه هو المعنى المشترك بين طرفي التشبيه الأساسيين المشبّه والمشبّه به ، أو هو الوصف الخاصّ الذي يشتركان فيه تحقيقاً أو تخييلاً.

ومعنى (تحقيقاً) أن يتقرّر المعنى المشترك في كلّ من المشبّه والمشبّه به على وجه التحقيق، مثل تشبيه الرجل بالأسد، فالشجاعة هي المعنى المشترك بين الرجل والأسد، وهي على حقيقتها موجودة في الرجل، وإنّما يقع الفرق بينه وبين الأسد الذي شُبّه به من جهة قوّة الشجاعة وضعفها وزيادتها ونقصانها.

ومثل تشبيه الشَّعر بالليل ووجه الشبّه هنا هو السواد وهو مأخوذ من صفة موجودة في المشبّه وموجودة في المشبّه به وجوداً حقيقيّاً.

ومعنى (تخييلاً) ألا يكون المعنى المشترك في أحد الطرفين أو كليهما إلاّ على ضرب من التأويل، فتقوم المخيّلة بجعل ما ليس محقّقاً محقّقاً، نحو تشبيه السيرة بالمسك والأخلاق بالعنبر،فقد شاع وصف كلّ من السيرة والأخلاق بالطيب توسّعاً حتّى تُخُيّلَ أنّهما من الأجناس ذات الرائحة الطيّبة فشبّهوهما بكلّ من المسك و العنبر في الطيب.

اقرأ معي شاهد البلاغيّين على هـــذا الكلام، وهو قول القاضي التنوخي:

وكـــأنّ النجـــومُ بـــين دجـــاهُ سُـــنَنٌ لاحَ بينـــهنّ ابتـــداعُ

تَرَ أنّ وجه الشبه هو الهيئة الناتجة عن حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، وهي غير موجودة في المشبّه به إلاّ على طريقة التخييل، وذلك أنّه لمّا كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي إلى الطريق الذي تقع به النجاة شُبهّتْ بالظلمة، وشاع ذلك حتّى قيل: شاهدتُ سواد الفكر من جبين فلان لتخييل أنّ البدعة نوع له زيادة اختصاص بسواد اللون، لأجل ذلك صار تشبيه النجوم بين الدياجي بالسنن بين الابتداع واضحاً جليّاً كما تُشبّه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب.

وإذا أردت المزيد من التوضيح اقرأ قول الشاعر:

ولقد ذكرتُـــك والظـــلامُ كأنّـــه يومُ النوى وفؤادُ مـــن لم يعـــشق

فإنّه لمّا كانت أيّام المكاره توصف بالسواد توسّعاً فيقال: أظلمتْ عليّ الدنيا واسودّ النهار في عيني، ولمّا كان المحبّ يفترض القسوة فيمن لم يعشق، وكان القلب القاسي يوصف بالسواد توسّعاً، تخيّل الشاعر العاشق يومَ النوى وفؤادَ من لم يعشق شيئين لهما سواد، وجعلهما أعرفَ به وأشهر من الظلام فشبّهه بهما، وأنت ترى أنّ وجه الشبه (السواد) موجود في الظلام حقيقة، لكنّه ليس موجوداً في يوم النوى وفي الفؤاد الذي لم يعشق إلاّ على سبيل التخييل، فيوم لقاء الأحبّة يوم أبيض ويوم فراقهم يوم أسود.

وجه الشبه المفرد والمتعدّد :

قد يكون وجه الشبه واحداً كالجرأة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد، والحمرةِ في تشبيه الخدّ بالورد، والكرمِ في تشبيه زيدٍ بحاتم الطائي، قال الشاعر:

وسهيل كوجنة الحِـبّ في اللـو نِ وقلـب المحـبّ في الخفقـان

وقال آخر:

والعمـرُ مثـلُ الكـأس يـر سـبُ في أواخرهـا القـذى

وقد يكون وجه الشبه متعدّداً أي أنّه يأتي في أسلوب التشبيه عدد من أوجه الشبه اثنان أو ثلاثةٌ أو أربعةٌ، نقول -مثلاً- زيدٌ مثل أبيه شجاعةً وحنكةً وخلقاً وأدباً، قال الشاعر:

مثل الغراب بدا يـاري صـحبَهُ بسوادِ صبغتِهِ وحُـسْنِ قَوامِـهِ

وجه الشبه في البيت أكثر من واحد: سواد صبغته وحسنُ قوامه.

أقسام التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه

التشبيه بالنظر إلى وجه الشبه ثلاثة أقسام: مفصّلٌ (إذا ذكر الوجه) ومجملٌ(إذا لم يذكر الوجه) وتمثيلٌ (إذا كان الوجه منتزعاً من متعدّد).

المفصّل :

كما في قول المتنبي:

فتىً كالسحاب الجون يُخشى ويُرتجى يُرجّى الحيا منها وتُخشى الصواعق

يريد أنّ الممدوح مثل السحاب رجاء للنفع وخشية من الضرر، وهذا هو وجه الشبه.

وكما في قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في الحسـ ـن وفي بُعد المنالِ

جُدْ فقد تنفجرُ الصخْـ ـرةُ بالماء الزلالِ

فالحسن وبُعد المنال هما وجه الشبه، ومن هذا قول الشاعر:

أنت بدرٌ حسناً وشمسٌ علوّاً وحسامٌ حزماً وبحرٌ نوالا

المجمل:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [القصص: ٣١]، أي في الخفّة وسرعة الحركة، وفي قول المتنبيّ:

وزيارةٍ عن غير موعدْ كالغمض في الجفن المسهّدْ

يقول: اتفقت لنا هـــذه الزيارة وكانت لطيبها (وهو وجـــه الـــشبه المحذوف) كالنوم في جفن الساهد، وفي قول الآخر:

وكأنّ إيماض السيوف بـــوارقٌ وعجاجَ خيلهِمُ سحابٌ مظلمُ

حيث ترى تشبيهين: تشبيه إيماض السيوف بالبرق في الظهور وســـرعة الخفاء (وهـــذا هو وجه الشبه المحذوف)، وتشبيه عجاج الخيل بالـــسحاب المظلم في سواده وانعقاده في الجوّ(وهـــذا هو الوجه المحذوف).

التمثيل:

فرّق البلاغيّون بين التشبيه والتمثيل، فقد عقد عبد القاهر الجرجاني فصلاً طويلاً تحدّث فيه عن التشبيه والتمثيل والفرق بينهما من خلال عبارته ((كل تمثيل تشبيه وليس كلّ تشبيه تمثيلاً))[1]، والتشبيه على ذلك ضربان:

أ- تشبيه غير تمثيلي وهو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيّناً بنفسه لا يحتاج إلى تأوّل لأنّ الطرفين فيه يشتركان بصفة ظاهرة مثل تشبيه القدّ اللطيف بالغصن في لطافته ومرونته، والرجل القوي بالأسد والمرأة الجميلة بالشمس.....

ب- تشبيه تمثيلي وهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدّد، اقرأ قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، تجد أنّ المشبّه حال من ينفق قليلاً في سبيل الله ثم يَلقى عليه جزاء جزيلاً،

١- انظر أسرار البلاغة ص ٨٣ وما بعدها.

وأنّ المشبّه به حال من بذر حبّة فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مئة حبّة، وأنّ وجه الشبه هو صورة من يعمل قليلاً فيجني من ثمار عمله كثيراً.

ولعلك لاحظت أنّ وجه الشبه الذي قدّرناه ليس لفظاً مفرداً بيّناً محسوساً أو معقولاً، وإنّما هو صورة منتزعة من كل المشبه ثمّ من كلّ المشبّه به، بمعنى أنّه لم يؤخذ من ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ وحسب، بل من ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ كلّها، وهو في الطرف الثاني لم يؤخذ من ﴿ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ وحسب، بل من ﴿ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ كلّها، وللتوضيح أيضاً لم يؤخذ وجه الشبه من لفظ وإنّما أُخذ من مجمل صورة الطرف الأوّل ومجمل صورة الطرف الثاني، لذلك عرّف بعض البلاغيّين تشبيه التمثيل بأنّه تشبيه صورة بصورة.

ومن هـــذا النوع ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ثم أمعن النظر في قول كثيّر عزّة:

لقد أطمعتْني بالوصال تبـــسّماً وبعد رجائي أعرضتْ وتولّتِ

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ فلمّا رجَوْها أقشعت وتجلّـــتِ

تجده يشكو وقد أطمعتْه حبيبتُه بالوصال لما رأى من تبسّمها وبشاشة وجهها ، ولكنّه حينما منّى نفسه بالرجاء تركتْه وأعرضتْ عنه، صورتُه وهو كذلك تشبه صورة قوم عطاش رأوا غمامة في السماء فأيقنوا بالمطر الذي

سيُذهب ظمأهم، ولكنّها سرعان ما انقشعت، فما زادهم ذلك إلاّ تألّماً وحسرة.

ووجه الشبه في البيتين صورة من أيقن بالوصول إلى الهدف بعد أن بدتْ أسبابُه ومقدّماته ولم يبق بينه وبين ما يريد إلاّ قيد أنملة فتبدّدت آماله وضاعت أمانيه، ولّما كان التشبيه بين صورتين ووجه الشبه منتزعاً من متعدّد ظهر أنه تشبيه تمثيلي.

ومن التشبيه التمثيلي قول ابن المعتز:

كـــأنّ سماءنـــا لّمـــا تجلّـــتْ خلال نجومها عند الـــصباح

رياضُ بنفسج خـــضل نـــداهُ تفتّح بينـــه نـــورُ الأقـــاحي

وجه الشبه فيه الصورة الحاصلة من شيء أزرق انتشرت في أثنائه صور صغيرة بيضاء.

أنواع التشبيه

التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي حذفت منه الأداة والوجه، فبدلاً من أن تقول: زيد كالأسد في الشجاعة أو: زيد كالأسد، أو: زيد أسد في الشجاعة؛ تقول: زيدٌ أسدٌ.

وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوّة المبالغة لما فيه من ادّعاء أنّ المشبّه هو عين المشبّه به فلا يفصل بينهما فاصل ولا يُذكر الوجه حتى لا يكون ثمّة تقييد، ثمّ لما فيه من الإيجاز الناشىء عن حذف الركنين (الأداة والوجه) معاً، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كلّ مذهب.

من شواهد هذا النوع عند عبد القاهر الجرجاني قول الشاعر[1]:

يزورُ الأعادي في سماء عجاجةٍ أسنّتُهُ في جانبيَهْا الكواكبُ

الشاهد: أسنته الكواكب، ذكَر الطرفين الأساسيّين المشبّه والمشبّه به وحذف الأداة والوجه.

ومنه قول الشاعر:

فالأرضُ ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ والنبتُ فيروزجٌ والماءُ بلّورُ

التشبيه الضمني:

هو التشبيه الذي لا يُذكر فيه الطرفان الأساسيان صريحين وإنّما يُلمحان من التركيب ويُفهمان من السياق لذلك سمّي ضمنيّاً، وهذا النوع

١- أسرار البلاغة : ص ١٥١.

من التشبيه يأتي في أعقاب الكلام من أجل إقناع المخاطب أو القارئ بفكرة المتكلم أو الكاتب، فعندما تقرأ- مثلاً- قول المتنبيّ:

مَنْ يهن يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

لا ترى مشبّهاً صريحاً ولا مشبهاً به صريحاً وإنّما تفهم من السياق أنّ هاهنا تشبيهاً، بمعنى أنّ من يقبل الذل أو الإهانة مرة يقبلها كلّ مرّة، ومن أجل أن يقنعنا الشاعر بفكرته هذه ذكّرنا بأنّ الميّت لا يؤلمه ضرب ولا يؤذيه جرح عاقداً بين مَنْ قَبِل الذل وهذا الميّت تشبيهاً يفهمه القارىء من السياق، وقد جاءت عبارته (ما لجرح بميّت إيلام) كما ترى في أعقاب الكلام لتزيدنا إقناعاً.

وقد استشهد عبد القاهر الجرجاني على هذا النوع من التشبيه بقول المتنبي أيضاً:

فإنْ تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ فإنّ المسك بعضُ دم الغزالِ

وعلّق عليه بقوله: ((أراد أنّه فاق الأنام وفاقهم إلى حدّ بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة، بل صار كأنّه أصل بنفسه وجنس برأسه، وهذا أمر غريب وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصّة به إلى أن يصير كأنّه ليس من ذلك الجنس، وبالمدّعى له حاجة إلى أن يصحّح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجيء إلى وجوده في الممدوح، فإذا قال: ((فإن المسك بعض دم الغزال)) فقد احتّج لدعواه وأبان أنّ لِما ادّعاه أصلاً في الوجود، وبرّأ نفسه من صفة الكذب وباعدها من سفه المقْدم على غير بصيرة والمتوسّع في الدعوى من غير البيّنة، وذلك أنّ المسك قد خرج عن

صفة الدم وحقيقته حتّى لا يُعدّ في جنسه إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصّة بوجه من الوجوه لا ما قلّ ولا ما كثر، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دماً البتّة)) [1].

خذ مثالاً آخر من شعر أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدّ جِدّهمْ وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ

تر المراد أنّ قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك لأنّ البدر يُفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام، وهذا الكلام يُوحي بأنّه تضمّن تشبيهاً غير مصرّح به، فالشاعر يشبّه ضمناً حاله وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه عندما ألّمتْ بهم الخطوب بحال البدر في حلكة الليل، والشاهد في البيت -كما رأيت- هو الشطر الثاني الذي جاء في أعقاب الكلام للإقناع وشدّة التأثير.

من أمثلة هذا النوع من التشبيه قول ابن الرومي:

قد يشيبُ الفتى وليس عجيباً أن يُرى النَّوْرُ في القضيب الرطيب

والمعنى: قد يعتري الفتى الشيب في ريعان شبابه ، وليس ذلك بالأمر العجيب لأنّ الغصن قد يظهر فيه الزهر الأبيض قبل أوانه.

وقول أبي تمّام:

لاتنكري عطلَ الكريم مِن الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالي

١- أسرار البلاغة : ص ١٠٣- ١٠٤.

التشبيه المقلوب:

يظهر من اسم هـــذا النوع أنّ قلباً جرى في أسلوب التشبيه فجعل المشبّه مشبّهاً به والمشبّه به مشبّهاً، فبدلاً من أن نقول: هند كالقمر، نقول: القمر يشبه هنداً، وبدلاً من: زيدٌ كالبحر، نقول: البحر يحاكي زيداً، وهكـــذا.

والمراد من هـــذا التشبيه المبالغة وادّعاء أنّ وجه الشبه في المشبّه أقـــوى وأظهر لذلك قَلَبه ، لأنّ من عادة العرب أن تكون الصفة في المشبّه به أظهر منها في المشبّه ، وهنا صار المشبّه مشبّهاً به.

والعرب أصحاب البيان أرادوا أن يعبّروا عمّا في دواخلهم ويـــسلكوا السبيل التي تشبع رغبتهم في التعبير وهي سبيل المبالغة، فلربّما وجدتَ أديباً أو شاعراً لم يُرض التشبيه نزعته إلى الإغراق، يقول المتنبي مادحاً:

يجلّ عن التشبيه لا الكفّ لّجةٌ ولا هو ضرغامٌ ولا الرأي مخذمُ

أننقصه من حظّه وهـــو زائـــدٌ ونبخْسه والبخس شيء محرّمُ

فقد رأى الشاعر أنّ ممدوحه فوق كلّ تشبيه، فلم يُرضه أن يشبّه كفّه باللجّة أو يشبّه ممدوحه بالضرغام ولا رأيه بالسيف القاطع، فممدوحه فوق كلّ هـــذا.

وفي جنّة من جنان الأرض يقول المتنبيّ :

خـــضراءُ حمـــراءُ التـــرا بِ كأنّهـــا في خـــدّ أغيـــدْ

أحببـــتُ تـــشبيهاً لهـــا فوجدتهُ مـــا لـــيس يوجـــدْ

ما السبيل إذاً من أجل تحقيق هـــذه المعاني؟ السبيل هي قلب التشبيه، يقول عبد القاهر الجرجاني[1]: وعُرف عندهم - أي عند العرب - تـــشبيه ثدي الكواعب بالرّمان ثمّ قلبوا فشبّهوا الرّمان بالثدي كقول القائل:

ورمّانـــة شـــبّهتُها إذ رأيتُهـــا بثدي كعابٍ أو بحقّة مرمـــرِ

منمنمةٌ صفراءُ نُـــضّد حولهـــا يواقيتُ حمرٌ في ملاء مُعَـــصْفر

ويقول في موضع آخر[2]: من شأن الدموع أن تشبّه إذا قطرتْ علـــى خدود النساء بالطلّ والقطر على ما يشبه الخدود مـــن الريـــاحين كقـــول الناشئ:

بكت للحبيب وقـــد راعَهـــا بكاءُ الحبيب لبعـــد الـــديار

كأنّ الدموع علـــى خـــدّها بقيّـــةُ طـــلّ علـــى جلّنـــار

ثُمّ يُعكس كقول البحتري:

شقائق يحملن النـــدى فكأنّـــه دموعُ التصابي في خدود الخرائد

انتهى كلام عبد القاهر.

وشاهد البلاغيّين على هـــذا النوع – أي: التشبيه المقلـــوب - قـــول محمّد بن وهيب الحميري مادحاً:

وبدا الـــصباحُ كـــأنّ غرّتَـــهُ وجهُ الخليفة حـــين يُمتـــدحُ

١- أسرار البلاغة : ص ١٨٣- ١٨٤.

٢- أسرار البلاغة: ص ١٨٨.

أغراض التشبيه

الغرض الأساسي من التشبيه هو الإيضاح والبيان والإيجـــاز، يـــضاف إليها:

- بيان إمكانيّة وجود المشبّه، ويكون المشبّه هنا أمراً مستغرباً لا يمكن فهمه وتصوّره إلا بذكر شبيه له، كما في قول البحتري:

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجـــداً فـــشأناك انحـــدار وارتفـــاعُ

كذاك الشمسُ تبعدُ أن تـــسامى ويدنو الضوء منها والـــشعاعُ

فقد أثبت الشاعر للممدوح صفتين متناقضتين هما القرب والبعد، ولمّـــا كان ذلك غير ممكن ضرب له المثل بالشمس ليبيّن إمكان ما قال.

وكما في قوله أيضاً:

دان إلى أيدي العفاة وشاســـعٌ عن كلّ ندّ في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلوّ وضوؤه للعصبة السارين جدّ قريـــبِ

- بيان حال المشبّه، ويكون المشبّه هنا مجهول الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف كما في قول ابن الرومي:

حبرُ أبي حفصٍ لعـــابُ الليـــل يسيلُ للإخـــوان أيّ ســـيل

فالمشبّه هو حبر أبي حفص أو مداده، والمشبّه به لعاب الليل أي سواده والمشبّه (الحبر) مجهول الصفة لأنّ له أكثر من لون، لذلك التمس الشاعر له مشبّهاً به هو لعاب الليل الأسود حتى يبيّن حاله.

فالمشبه هنا هو ضوء الصباح في أوّل تباشيره، والمشبّه به هـو وجـه الخليفة عند سماعه المديح، والتشبيه كما ترى مقلوب، والأصل فيـه هـو العكس.

ومن أمثلة هـذا النوع قول الشاعر:

أحـنُّ لهـمْ ودونَهـمُ فـلاةٌ كأنّ فسيحها صدرُ الحليم

وذهب بعض الشعراء إلى ما هو أبعد من قلب التشبيه ، فلم يقبلوا بـه لأنّه -في رأيهم- أقلّ ممّا يريدون، يقول العباس بن الأحنف:

قالتْ ظلومُ وما جارتْ وما ظلمتْ إنّ الذي قاسني بالبدرِ قد ظلما

البدرُ ليسَ لـهُ عـينٌ مكحّلـةٌ ولا محاسنُ لحظٍ يبعثُ السقما

ويقول ابن عبد ربّه:

أدعو عليك فلا دعاءٌ يُـسمعُ يامَنْ يضرُّ بناظريـه وينفـعُ

للوردِ حينٌ ليسَ يطلعُ دونـهُ والوردُ عندك كلَّ حينٍ يطلعُ

ومن البديع في هـذا الباب قول أبي نواس في مدح الأمين:

تتيهُ الشمسُ والقمـرُ المـنيرُ إذا قلنـا كأنّهمـا الأمـيرُ

فإن يك أشـبها منـه قلـيلاً فقد أخطاهُما شَـبَهٌ كـثيرُ

لأنّ الشمسَ تغربُ حين تُمسي وأنّ البـدرَ ينقـصُهُ المـسيرُ

ونـورُ محمّـدٍ أبـداً تمـامٌ على وَضَحِ الطريقة لا يجـور

ومن هـــذا الغرض قول النابغة الذبياني مادحاً النعمان بن المنذر:

كأنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

فالمراد هنا عظم حال النعمان وصغر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به، وقد شبّهه الشاعر بالشمس والملوك بالكواكـــب، لأنّ الـــشمس تُخفـــي الكواكب، ولا ظهور للملوك أمام النعمان.

– بيان مقدار حال المشبّه، ويكون المشبّه هنا غير معروف المقـــدار في القوّة والضعف والزيادة والنقصان كما في قول عنترة:

فيها اثنتان وأربعـــون حلوبـــةً سوداً كخافية الغراب الأسحم

يخبرنا بأنّ حمولة أهل حبيبته تتألّف من اثنتين وأربعين ناقة تحلـــب، ثم وصف هـــذه النوق بأنّها سود، والنوق السود من أنفس الإبل وأعزّها عند العرب، ولبيان مقدار سواد هـــذه النوق شبّهها بخافية الغراب الأسحم.

وهـــذا هو الغرض المراد في قول الأعشى:

كأنّ مشْيتها من بيت جارتهـــا مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

– تقرير حال المشبّه حتى تتوضّح صورته في النفس ويثبت في القلـــب ثبوتاً يوصله إلى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ [الرعد: ١٤].

فالآية تتحدّث عن المشركين الذين يتخّذون آلهة غير الله، وتصفهم بأنهم إذا دعوا آلهتهم لا تستجيب لهم ولا يعود عليهم دعاؤهم إيّاها بفائدة، وقد أراد الله تعالى أن يقرّر هـــذه الحال ويثبتها في الأذهان فشبّه هـــؤلاء بمـــن

يبسط كفّيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه لأنه يتسرّب من أصابعه ما دامت كفّاه مبسوطتين.

ومن إرادة هذا الغرض في التشبيه قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت: ٤١]، ثم قول الشاعر:

وأصبحتُ مِنْ لَيْلى الغداة كقابضٍ على الماءِ خانتْهُ فُروجُ الأصابعِ

- تحسين المشبّه وتزيينه والترغيب فيه بمشبّه به حسن الصورة، كما في قول أبي الحسن الأنباري يرثي الوزير ابن بقيّة بعد ما قُتل وصُلب:

كأنّك قائمٌ فيهم خطيباً وكلُّهمُ قيامٌ للصلاةِ
مددتَ يديك نحوهُم احتفاءً كمدّهما إليهم بالهباتِ

وكما في قول البهاء زهير يصف سمراء طويلة:

وسمراء تحكي الرمح لوناً وقامةً لها مهجتي مبذولة وقيادي
لقد عابها الواشي فقال: طويلةٌ مقالُ حسودٍ مظهر لعنادِ
فقلتُ له بشّرتَ بالخير إنّها حياتي وإن طالت فذاك مرادي
وما عابها القدّ الطويلُ وإنّه لَأوّلُ حسنٍ للمليحة بادِ
رأيتُ الحصونَ الشمَّ تحرسُ أهلَها فأعددتُها حصناً لحفظ ودادي

- تقبيح المشبّه وتشويهه، بحيث يشبّه بأقبح منه ممّا يدعو النفس إلى كرهه والنفور منه واستهجانه ، يقول المتنبي هاجياً:

وإذا أشار محدّثاً فكأنّه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطِمُ

فهو يشبّه مهجوّه عندما يتحدّث بالقرد الذي يقهقه والعجوز التي تلطم.

وهذا هو غرض مَنْ قال:

إذا مال الفتى للسود يوماً فلا رأيٌ لديه ولا رشادُ
أهوى خنفساءَ كأنّ زفتاً كسا جلداً لها وهو السوادُ
وما السوداء إلاّ قدر فرن وكانون وفحم أو مدادُ

من محاسن التشبيه

- أن يُمثَّل الغائب الذي لا يُعتاد بالظاهر المعتاد مما يؤدي إلى إيضاح المعنى وبيان المراد، ففي قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم:١٨]، كشفٌ وإيضاح لحال أولئك الكفّار وأعمالهم التي يظنّون بها الإصابة وهي لا جدوى لها عن طريق هذا التشبيه بالرماد الذي تتسلّط عليه الرياح فتبدّده ولا تذر منه شيئاً.

- أن يمثّل الشيء بما هو أعظم منه في الاتصاف بالصفة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ [الرحمن: ٢٤]، فشبّه السفن الجارية على ظهر البحر بالجبال في كبرها وعظمتها.

ولا يكون التشبيه داخلاً في سلك البلاغة إلاّ إذا كان المشبّه به حاملاً أعظم الصفة أو المعنى المراد، لذلك ليس من البلاغة تشبيه الرجل الشجاع بالنمر، لأنّ الأسد أقوى منه، وليس منها تشبيه الرجل الكريم بالجدول أو الساقية لأنّ البحر أكثر عطاءً، وهكذا.

- أن يؤدي الإيجاز الشديد والاختصار العجيب، وهذا مقصد عظيم من مقاصد البلاغة التي كثيراً ما قال العلماء فيها إنّها لمحة دالّة، فبدلاً من أن تقول -مثلاً- زيد قوّي القلب شديد البطش قادر على الهجوم لا يخامره الخوف ولا ينتابه الذعر، بدلاً من هذا كلّه تقول: زيد كالأسد، وتكون بذلك قد جمعت كلّ المعاني التي أردتها بهذا التشبيه الموجز.

يظهر هـــذا الإيجاز المعجز في التشبيه الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [الكهف: ٤٥]، فقد اشتملت هـــذه الآية على أنواع من تشبيهات أشـــياء بأشياء في معانٍ وأوصاف لو فصّلت لاحتاجت إلى شرح كبير.

تدريبان محلولان في بحث التشبيه

الأول: بيّن أركان التشبيه فيما يلي:

أ- قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله).

ب- وما الموتُ إلاّ سارقٌ دقّ شخصُهُ

يصولُ بلا كفّ ويسعى بلا رِجْـلِ

ج- ووجهٍ كأنّ الشمس ألقت رداءها

عليـــه نقـــيّ اللّـــونِ لم يتخـــدّدِ

د- أرى عهدَكم كالوردِ ليس بـــدائمٍ

ولا خير في مَنْ لا يدومُ لـــه عهـــدُ

الجواب:

أ- المشبّه هو الساعي على الأرملة والمسكين، المشبّه بـــه : المجاهـــد، الأداة: الكاف، وجه الشبه محذوف تقديره(الأجر والمثوبة).

ب- المشبّه: الموت، المشبهّ به : سارق، الأداة: محذوفة، الوجه: محذوف تقديره (الخفاء).

ج- المشبّه: وجه، المشبّه به: الشمس، الأداة: كأنّ، وجه الشبه: الصفاء والإشراق.

د- المشبّه: عهدكم، المشبّه به: الورد، الأداة: الكاف، الوجه: عدم الدوام.

المشبّه: عهدي، المشبّه به: الآس، الأداة: الكاف، الوجه: الحسن والبهجة.

الثاني: بيّن نوع التشبيه في الأمثلة التالية:

أ- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

ب- كم مريضٍ قد عاش من بعد يأسٍ

بعدَ موتِ الطبيب والعُوّادِ

قد يُصادُ القطا فينجو سليماً

ويَحُلُّ القضاءُ بالصيّاد

ج- ولاحَ ضوءُ قُميرٍ كاد يفضحنا

مثل القُلامةِ قد قُدّت من الظفر

د- فاقضوا مآربكم عجالاً إنّما

أعمارُكم سفرٌ من الأسفار

هـ- لعلّ عتبك محمودٌ عواقبُهُ

فربّما صحّت الأجسامُ بالعللِ

و- والشيبُ ينهضُ في الشباب كأنّــه

ليـــلٌ يـــصيحُ بجانبيـــه نهـــارُ

الجواب:

أ- تمثيلي، فقد شبّه حال الدنيا في سرعة تقضّيها وزوال نعميها بعــد الإقبال بحال النبات الذي زيّن الأرض بخضرته ثم صار حطاماً، ووجه الشبه : صورة شيء مبهج يبعث الأمل في النفس ثم لا يلبث أن يزول ويختفي.

ب- ضمني، فُهم منه تشبيه حال المريض الذي عاش من بعــد يــأس، وموت الطبيب والعوّاد بحال طائر القطا ينجو من الاصطياد ويهلك صائده.

ج- مقلوب.

د- بليغ لعدم ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه.

هـــ- ضمني، فُهم منه تشبيه حال العتاب الذي تكون عواقبه محمودة بحال العلل التي تؤدي إلى صحّة الأجسام.

و-تمثيلي، فقد شبّهت حال بياض الشيب وهو يمحو سواد الــشعر في سرعة مخيفة بحال بياض النهار وهو يمحو سواد الليل حتّى يزيله كلّه، ووجه الشبه هو صورة شيء أبيض يُسرع في محو شيء أسود ويحتلّ مكانه.

تدريبان يُطلب حلُّهما في بحث التشبيه

الأول: بيّن أركان التشبيه في الأمثلة التالية:

أ- ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٧].

ب- فخُضْرتُها كالجوّ في حسنِ لونِـهِ

وأنوارُها تحكـي لعينيـكِ أنجمـا

ج- جـاءت بوجـه كأنّـه قمـرٌ

علـى قـوام كأنّـه غـصنُ

د- إنّ الحقـائق كالـصباح جميلـةٌ

للنـاظرين وكـالنجوم عـوارِ

هـ- إنّ الرسول لنورٌ يستـضاءُ بِـهِ

مُهنّدٌ مـن سـيوف الله مـسلولُ

الثـانـي:

بيّن نوع التشبيه في الأمثلة التالية:

أ- فإنك شمـسٌ والملـوك كواكـبٌ

إذا طلعتْ لم يَبْدُ مِـنْهُنَّ كوكـبُ

ب- إن القلـوب إذا تنـافر ودّهـا

مثلُ الزجاجة كـسرها لا يُجْبَـرُ

ج- يهزّ الجـيشُ حولـك جانبَيْـه

كما نفـضت جناحَيْهـا العقـابُ

د- قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مَهَـلٍ

وليس ينفـع بعـد الكـبرةِ الأدبُ

إنّ الغصون إذا قوّمتَهـا اعتـدلتْ

ولا تلـين إذا قوّمتَهـا الخـشبُ

هـ- علا فما يستقرّ المـالُ في يـده

وكيف تُمسكُ مـاءً قُنّـةُ الجبـل

و- ليَ مـولىً لا أسمّيـه

كـلُّ شـيءٍ حـسن فيـه

تـصف الأغـصان قامتـه

بتـثنٍ كتثنّيـه

ويكـاد البـدر يـشبهه

وتكـاد الـشمس تحكيـه

الحقيقة والمجاز

كلّ كلمة في لغتنا العربيّة السمحة ذاتُ معنى موضوع لها، وضعه -أو اتفق عليه- أصحابها ليدلّ به على شيء محدّد، فإذا استخدمت هـذه الكلمة وكان المراد معناها الدالّ عليها في الوضع اللغوي كان استخدامها حقيقياً، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((الحقيقة في المفرد هي كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره)) [1].

ويقول ابن الأثير: ((إنّ الحقيقة هي اللفظ الدالّ على موضوعه الأصلي، والحقيقة اللغوّية هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني)) [2].

نقول : وهذا هو الأصل في الاستخدام، اقرأ أبياتاً لابن الوردي ينصح فيها ابنه قائلاً:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ

واهجر الخمرة إن كنت فتىً ... كيف يسعى في جنون مَنْ عقلْ

واتّق الله فتقوى الله ما ... جاورت قلبَ امرئ إلاّ وصلْ

واطلب العلم ولا تكسلْ فما ... أبعد الخير على أهل الكسلْ

لا تقلْ قد ذهبتْ أربابُهُ ... كلّ مَنْ سار على الدرب وصلْ

لا تقلْ أصلي وفصلي أبداً ... إنّما أصلُ الفتى ما قد حصلْ

١- أسرار البلاغة : ص ٣٠٣.

٢- المثل السائر: ١/١٠٥- ١٠٦.

تجد أنّ ألفاظها وكذلك تراكيبها استخدمت لمعانيها الأصلية الموضوعة لها في اللغة فهو استخدام حقيقي، وهـــذه هي الحقيقة.

لكنْ قد يلجأ المتكلّم إلى استخدام الكلمة في معنى غير المعـــنى الـــذي وضع لها، أي أنّه يجوز بها معناها الحقيقي إلى معنى آخر ، وهـــذا يـــسمّى المجاز.

خذ مثلاً كلمة (البحر) التي تدلّ في أصلها على معنى مكان الماء الواسع الكثير، واستخدمْها في جملة مثل(سافرت عن طريق البحر) تجد أنّ النـــاس جميعاً فهموا أنّ المراد بـــ (البحر) هو المعنى الحقيقي.

ثمّ خذ الكلمة ذاتها وأطلقْها على رجل كريم تريد مدحه واستخدمْها في جملة مثل (زارني البحر) تجد أن الكلمة هنا لم تدلّ على معنى الماء الواســـع الكثير وهو الموضوع لها، وإنّما جاوزتْه إلى معنى آخر وهو كـــرم هـــــذا الممدوح، لعلاقة بين معناها الحقيقي (الكثرة الدالّة على معنى العطاء) ومعناها المجازي (كرم الرجل) الذي يحمل أيضاً معنى العطاء، فهاهنا علاقة مشابهة بين المعنيين، الأوّل حقيقي والثاني مجازي، بمعنى أنّك استخدمت لفظ البحـــر في (زارني البحر) استخداماً مجازياً، وهناك قرينة دلّت على مجازيّة الاســـتخدام وهي كلمة (زارني) لأنّ البحر الحقيقي، - أو بمعناه الحقيقي- لا يزور أحداً.

واقرأ قول المتنبي يصف سيف الدولة الحمداني وقد نزل المطـــر عليـــه وكان متقلّداً حساماً:

لعيني كلَّ يـــوم منـــك حـــظٌّ تحيّر منـــه في أمـــر عُجـــابِ

حِمالةُ ذا الحسامِ على حـــسامٍ وموقعُ ذا السحابِ على سحابِ

وتأمّل البيت الثاني تجد أنّ كلّ شطر منه اشتمل على كلمتين متشابهتين في لفظهما، ففي الشطر الأوّل تلحظ كلمتي (الحـــسام) و(حـــسام) ، وفي الشطر الثاني كلمتي (السحاب) و(سحاب)، وتجد أنّ كلمة الحسام معناهـــا السيف، ولأنّ هـــذا المعنى يوافق معناها في اللغة، فإنّ استعمال الكلمة هنـــا استعمال حقيقي.

أمّا (حسام) الثانية فإنّ الشاعر لا يريد بها السيف وإنّما يقصد بها الأمير ذاته، ولأنّ هـــذا الاستعمال لا يتفق مع معناها في اللغة وإنّما تجـــاوز بـــه الشاعر وأطلقه على ممدوحه لتشابههما في القوّة والمضاء، فـــإنّ اســـتعمال الكلمة هنا استعمال مجازي.

ومثل ذلك قل في كلمتي (السحاب) و(سحاب)، فالأولى اســـتعملها الشاعر في معناها المعروف في اللغة لذلك هو استعمال حقيقي، والثانية قصد بها الشاعر الأمير سيف الدولة وهـــذا ليس من معاني السحاب في اللغـــة، ولكنّ الشاعر يرى علاقة بين السحاب الذي يكون سبباً في الخصب والربيع وبين الأمير الممدوح الذي يغيث سائليه ويغمرهم بكرمه كما يغمـــر مـــاء السحاب الأرضَ، لهـــذا نقول إنّ استعمال (سحاب) استعمال مجازي.

يقول عبد القاهر الجرجاني: ((المجاز مفعل من جاز الشيء يجـوزه إذا تعدّاه، وإذا عُدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة وُصف بأنّه مجاز على معـنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً[1])).

ويقول في موضع آخر: ((أما المجاز فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل فهي مجاز، وإن شئت قلـت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له))[2].

والمعنى المراد كما ترى أنّ المجاز هو الكلمة المستخدمة في غير معناهـا الحقيقي لعلاقة مع قرينة.

وقبل الحديث عن أنواع المجاز وما يتبعه نرى من المناسب هنا إعطاءك فكرة عن ورود هـذا اللفظ في أمّهات كتب اللغة والتفسير والبلاغة.

فقد ورد هـذا اللفظ (المجاز) عنواناً لكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنّى ت ٢١٠ هـ إذ سمّاه (مجاز القرآن)، وقد أراد بالمجاز معنى أوسع وأشمل ممّـا عرفناه عند البلاغيّين بعده، أراد في مواضع كثيرة معنى التفسير، وقف عنـد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، فقال : مجازه لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوها، وقالوا في المثل: تحسبها حمقاء وهـي باخسة أي ظالمة[3].

١- أسرار البلاغة : ص ٣٤٢.

٢- أسرار البلاغة : ص ٣٠٤.

٣- مجاز القرآن أسرار البلاغة : ص ٣٠٤.: ٢١٩/١.

وورد على لسان الجاحظ ت ٢٥٥هـ في مواضع كثيرة، فعندما وقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠]، وقوله تعالى ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، قال: ((حيث يُقال لهؤلاء ذلك ـ يريد يأكلون وأكّالون ـ وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الدوابّ و لم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل، وقد قال الله عز وجلّ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، وهذا أيضاً مجاز آخر)) [1] ويسوق في كتابه كثيراً من الشواهد القرآنية والشعرية ثم يعلّق عليها بقوله: وهو كلّه مجاز.

واهتمّ بهذا اللفظ أي بالمجاز ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فهو يرى أنّ أكثر لغة العرب مجاز.

ثمّ كان أن درسه شيخ البلاغيّين وإمامهم عبد القاهر الجرجاني ٤٧٠هـ دراسة مستوفية في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وهو الذي جعل المجاز نوعين أحدهما المجاز الحكمي.

(وهو المجاز العقلي) والثاني المجاز اللغوي.

وستجد أن دراسات العلماء بعده عالة على دراساته في بيان معنى المجاز وأقسامه وأنواعه وعلاقاته وقرائنه.

١- الحيوان: ٥/١٠.

المجاز

عرفت أنّ المجاز نوعان: عقلي ولغوي.

أوّلاً - المجاز العقلي:

وهو واقع في الإسناد، إسناد الفعل إلى غير فاعله أو إسناد الخبر إلى غير مبتدئه، لذلك قالوا في تعريفه: هو مجاز يقوم على إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما حقُّه أن يُسند إليه، ويسمى المجاز الإسنادي، وأحياناً المجاز الحكمي كما سمّاه عبد القاهر الجرجاني.

تأملّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤]، تجد الفعلين في قوله ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ قد استخدما استخداماً حقيقياً، أيّ أنّ كلّاً من التذبيح والاستحياء جاء على معناه الذي وضعه لـه أهل اللغة.

لكنّ إسناد كلّ منهما إلى فرعون ليس إسناداً حقيقيّاً، لأنّ فرعون ليس هو الذي ذبحّ الأبناء وليس هو الذي استحيى النساء، إنّما فعل ذلك جنودُهُ، وفرعون كان السبب والآمر بذلك، فالعلاقة سببيّة، لذلك قلنا إنّ هاهنا مجازاً عقليّاً أو إسناداً مجازيّاً لأنّ المجاز هنا وقع في الإسناد ولـيس في الكلمـة، فالكلمات حقيقيّة لكنّ إسناد الأفعال فيها إلى غير الفاعل الحقيقي هو المجاز.

علاقات المجاز العقلي:

العلاقة هي المناسبة التي تربط بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه، فلمّا فهمنا من المثال السابق أنّ فرعون كان سبب التذبيح والاستحياء قلنا إن ذلك مجاز عقلي علاقته **السببيّة** ، وهي ذاتُها واقعة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [غافر: ٣٦]، ففي إسناد بناء الصرح إلى هامان مجاز عقليّ علاقته السببيّة، لأنّ فرعون لا يريد من هامان أن يبني الصرح بنفسه، وإنّما يبنيه العمّال، وهامان سبب في البناء أسند إليه الفعل مجازاً.

ومن شواهد عبد القاهر الجرجاني على هذه العلاقة في المجاز قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كرُّ الغداة ومرُّ العشيّ

قال: ((المجاز واقع في إثبات الشيب فعلاً للأيّام ولكرّ الليالي، وهو الذي أزيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه ، لأنّ من حقّ هذا الإثبات أعني إثبات الشيب فعلاً ألاّ يكون إلاّ مع أسماء الله تعالى، فليس يصحّ وجود الشيب فعلاً لغير القديم سبحانه)) [1].

ومنه قول المتنبيّ:

والهمّ يختـرم الجسيم نحافةً ... ويُشيب ناصية الصبيّ ويُهرمُ

فالفعل (يخترم) أسند إلى (الهمّ) أي إلى غير فاعله الحقيقي، لأنّ الهمّ لا يُهلك الجسم، وإنّما الذي يهلكه هو المرض الذي سبّبه الهمّ، وكذلك الفعل

١- أسرار البلاغة : ص ٣٢٠.

(يشيب) أسند إلى ضمير الهمّ أي إلى غير فاعله الحقيقي، لأنّ الهمّ لا يشيب الرأس، وإنّما الذي يُشيبه هو الضعف في جذور الشعر الناشئ عن الهمّ، لذلك نقول : إنّ هاهنا إسناداً مجازياً أو مجازاً عقلياً علاقته السببّية.

وهذه العلاقة (السببيّة) هي أكثر علاقات هذا النوع من المجاز شيوعاً واستخداماً وورودا في كلام العرب، وهناك علاقات أخرى:

الزمانيّة : في مثل قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧].

إذ أسند شيب الولدان إلى (اليوم) ، واليوم لا يُشيب الولدان، لكنّه الظرف أو الزمان الذي يتمّ فيه ذلك ، فالعلاقة زمانية.

المكانيّة : في مثل قول الشاعر:

ملكْنا فكان العفوُ منّا سجيّة فلمّا ملكتْم سال بالدم أبطحُ

قوله (سال بالدم أبطح) إسناد مجازي لأن الأبطح (وهو الوادي) مكان سيلان الدم والذي يسيل حقيقةً هو الدم، فالعلاقة مكانيّة.

المفعوليّة : في مثل قول الشاعر:

فبتُّ كأنّي ساورتْني ضئيلةٌ من الرقض في أنيابها السمّ ناقعُ

المجاز في (السمّ ناقع) ، فالسمّ لا يكون ناقعاً وإنّما يكون منقوعاً في ماء أو نحوه، فالمجاز العقلي في (ناقع) علاقته المفعولية، لأنّه ذكر اسم الفاعل(ناقع) وأراد اسم المفعول(منقوع).

الفاعليّة: في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، جعل الوعد مأتياً والمعروف أنّ الوعد آتٍ لا مأتيّ، والمجاز العقلي في (مأتياً) علاقته الفاعلية، لأنّه ذكر اسم المفعول (مأتيّ) وأراد اسم الفاعل (آتٍ).

المصدرية: في مثل قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جِدّهُمْ وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ

أسند الشاعر فعل (جدّ) إلى مصدره (الجدّ)، وهو إسناد غير حقيقي، لأنّ الحقيقة تقتضي إسناد الفعل إلى فاعله، فيقال مثلاً: جدّ الجادُّ جدّاً، لذلك قلنا إنّه مجاز عقلي علاقته المصدريّة.

ثانياً -المجاز اللغوي:

المجاز اللغوي هو النوع الثاني من نوعي المجاز، وهـــذا المجاز واقـــع في المفردة نفسها (وربّما في التركيب كما سترى في الاستعارة التمثيليّة)، وليس في الإسناد كما هي الحال في المجاز العقلي، لذلك قـــالوا في تعريفـــه: هـــو استخدام الكلمة أو التركيب في غير ما وضع له في الحقيقة لعلاقة مع قرينة، فإذا كانت العلاقة علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المنقول إليه فالمجاز استعارة، وإذا كانت العلاقة قائمة على غير المشابهة فهو مرسل، وسنتحدّث عنه أوّلاً.

أ- المجاز المرسل: وهو استخدام الكلمة في غير ما وضعت له في الحقيقة لعلاقة غير علاقة المشابهة، ولمّا كانت علاقاته كثيرة سُمّي المجاز المرسل.

علاقات المجاز المرسل:

العلاقة السببيّة: وهي أن يُذكر السبب ويراد المُسبَّب ، فنحن نقـــول مثلاً: لفلان عليَّ يدٌ لن أنساها ما حييتُ، ثم نلاحظ أنّ كلمـــة (يـــد) في العبارة لم تستخدم على حقيقتها اللغوية بمعنى أنها طرف من أطراف الجسد ، وإنّما استخدمت استخداماً مجازيّاً بمعنى الفضل والمنّة، وقد سوّغ استخدامها بمعنى الفضل والمنّة أنّها هي السبب فيهما، فهي سبب العطاء وسبب الفضل ، ونحن في مثالنا ذكرنا السبب (اليد) وأردنا المسبّب عنها وهو الفضل، وذلك مجاز مرسل علاقته السببيّة.

قال الشاعر:

لـــه أيـــادٍ علـــيّ ســـابغةٌ أعـــدُّ منـــها ولا أعـــدّدها

في كلمة (أيادٍ) مجاز مرسل علاقته السببيّة، وأيادٍ جمع يد، ذكر الشاعر السبب وأراد المسبّب عنه وهو الفضل.

ومن هـــذا قول الشاعر أيضاً:

بعضُ الذي نالنا يا دهرُ يكفينا فامْنُن ببيضاءَ أودعْها يداً فينا

في (يداً) مجاز مرسل علاقته السببيّة، وإنما المـــراد المـــسبّب عنـــها أي المعروف أو الفضل.

العلاقة المسببيّة: وهي أن يذكر المسبّب ويراد السبب، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[غافر: ١٣]، تجد أن المجاز في (رزقاً) لأنّ مـــا ينـــزل من السماء هو المطر الذي يسبّب الرزق، فقد ذُكر هنا المسبّب وأريد السبب فالعلاقة مُسبّبيّة.

مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فالمراد ما تستحقّون به المغفرة كالتوبة والاستغفار والإنابة، لأنّ هـــذا مـــا سبّب المغفرة، فقد ذُكر السبب وأُريد المسبّب.

وقولـــه تعـــالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١]، أي إلى الكفر الذي تتسبّب عن النار.

علاقة اعتبار ما كان: وهو أن يذكر الشيء باسم ما كـــان عليـــه في الماضي، لذلك قد تُسمّى هـــذه العلاقةُ الماضويةَ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، فالمجاز في (مجرماً)، ومعلوم

أنّه كان مجرماً في حياته الدنيا، لأنّ الإجرام والإفساد والكفر والتقى والإيمان والتوحيد كلّ هـذه الأعمال يزرعها المرء في دنياه ليحصدها في آخرته، إذ الدنيا هي المزرعة ، والآخرة دار الثواب أو العقاب ، فذكر (مجرماً) باعتبار ما كان عليه في الماضي(في الدنيا).

علاقة اعتبار ما سيكون: وهو أن يذكر الشيء باسم ما يصير إليه مستقبلاً ، لذلك قد تسمّى هذه العلاقةُ العلاقةَ المستقبليّة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح:٢٦- ٢٧].

المجاز في (فاجراً) وفي (كفّاراً) لأن المولود حينما يولد لا يكون فاجراً ولا كفّاراً، ولكنّه قد يصير كذلك عندما يكبر في هذه البيئة بيئة الكافرين، أي أنّ هذين اللفظين ذُكرا باعتبار ما سيكون عليه المولود من هؤلاء مستقبلاً.

العلاقة الجزئية: وهي أن يذكر الجزء ويراد الكّل، قال تعالى:

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢]، المجاز في (رقبة) والمراد تحرير إنسان (عبد)مؤمن، والرقبة جزء من الإنسان، فذكر الجزء وأريد الكل، وإنّما ذُكرت الرقبة من بين الأجزاء أو الأعضاء الأخرى لأنّها محلّ الفك والتحرير.

قال الشاعر:

أعلّمــه الرمايــةَ كــلَّ يــومٍ فلمّا اشتدّ ســاعدُهُ رمــاني

وكم علّمتُــهُ نظــم القــوافي فلمّا قــال قافيــة هجــاني

المجاز في (قافية)، والقافية في القصيدة جزء منها، فــذكر الجــزء وأراد القصيدة كلّها والعلاقة جزئيّة.

العلاقة الكلّية: وهي أن يذكر الكّل ويراد الجزء، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٧]، المجاز في (أصابعهم) ذُكر الكلّ وأريد الجزء أي الأنامل أو رؤوس الأصابع، إذ لا يمكن أن يــضع هــؤلاء أصابعهم كلها في آذانهم، والمراد هنا المبالغة وأنّهم لا يريدون أن يــسمعوا البتّة.

ونحن في كلامنا العادي قد نقول: شربتُ مــاءَ دمــشق وتنــسمتُ هواءها، فذكرنا الماء والهواء وإنّما المراد جزءٌ من ذلك.

العلاقة الآلية: وهي أن تذكر آلة الشيء ويراد أثرها، قــال تعــالى: ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ [الأنبياء: ٦١]، أي على مرأى منهم، والأعين آلة الرؤية، فالمجاز فيها ذو علاقة آلية إذ ذكرت الآلة وأريد أثرها.

العلاقة الحالّية: وهي أن يذكر الحالُّ ويراد المحلّ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، تلاحظ في الآية الكريمة أنّ المجاز في (رحمة)، وهي أمرٌ حالٌّ في الجنّة، والمراد

الجنّة ذاتها، فإطلاق الرحمة وهي الحالّ وإرادة الجنّة وهي المحلّ (محلّ الرحمة) مجاز مرسل علاقته الحالّية.

وقل الكلام ذاته في (نعيم) من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [المطفّفين: ٢٢].

العلاقة المحلّية: وهي أن يذكر المحلّ ويراد الحالّ به. قال تعالى:

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٧- ١٨]، فالمجاز في (ناديه) لأنّ النادي محلّ الاجتماع، والمراد عشيرة الرجل المتحدَّث عنه وهو هنا أبو جهل وأنصاره، ذكر المحلّ(ناديه) وأراد الحالّ به (العشيرة والأنصار)، وقال الشاعر:

بلادي وإن جارتْ عليَّ عزيزةٌ وأهلي وإنْ ضنّوا عليّ كرامُ

يدّعي الشاعر هنا أنّ بلاده تجور عليه، والحقيقة أنّ البلاد لا تجور وإنّما الذي يجور أهلها، فالشاعر أطلق المحلّ وهو (بلادي) وأراد الحالّ به وهو الأهل، وهذا كما ترى مجاز مرسل علاقته المحلّية.

علاقة المجاورة: وهي أن يذكر الشيء ويراد ما يجاوره، قال الشاعر:

فشككتُ بالرمح الأصمّ ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّمِ

فالمجاز في (ثيابه) والمراد جسمه، عبرّ بالثياب لمجاورتها القلب أو الجسم.

تدريب محلول في بحث المجاز المرسل

س- دلّ على المجاز المرسل فيما يلي واذكر نوع علاقته:

أ- ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[طه : ٤٠].

ب- ألّما على معن وقولا لقبره سقتْك الغوادي مربعاً بعد مربع

ج- ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[آل عمران:١٦٧].

د- إنّي نزلتُ بكذّابين ضيفُهُمُ عن القِرى وعن الترحال محدودُ

هـ- أصدقُ كلمة قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطـــل

و- كم من يدٍ بيضاءَ قد أسديتها تَثْني إليك عنـــانَ كـــلّ ودادِ

الـــجواب:

أ — المجاز المرسل في (عينها) وعلاقته جزئية إذ العين جزء من الإنسان.

ب- المجاز المرسل في (معن) وعلاقته حالّية، ذكر الحالّ وأراد المحلّ وهو القبر.

والمجاز المرسل في (قبره) علاقته محلّية، ذكر المحلّ وأراد الحالّ به وهـــو معن.

ج- المجاز المرسل في (بأفواههم) علاقته محلّية، ذكر المحل وأراد الحالّ بـــه وهو اللسان.

د- المجاز المرسل في (كذّابين) علاقته حالّية، ذكر الحـــالّ وأراد المحـــل أي الديار.

هـــ المجاز المرسل في (كلمة) علاقته جزئية، ذكر الجـــزء وأراد الكـــلّ أي الكلام.

و- المجاز المرسل في (يدٍ) علاقته سببيّة ، ذكر السبب وأراد المـــسبّب أي الفضل.

تدريب يُطلب حلّه

س-: دلّ على المجاز المرسل فيما يلي واذكر علاقته:

أ- ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩].

ب- ولكم بعثنا الجيش جرّاراً وأرسلنا العيونا

ج- وإذا النساءُ نشأن في أميّةٍ رضع الرجالُ جهالةً وخمولا

د- وليست أيادي الناس عندي غنيمةً وربّ يدٍ عندي أشدُّ من الأسرِ

هـ- إنّ العدوّ وإن تقادم عهده فالحقدُ باقٍ في الصدور مغيَّبُ

و- ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦].

ز- نبئتُ أنّ النارَ بعدكَ أوقدتْ واستبَّ بعدكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِس

ح-فامض لا تمنن عليّ أبداً منُّك المعروف من كدرِهْ

ب- الاستعارة:

عرفت أنّ المجاز الذي تكون فيه العلاقة بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه علاقة مشابهة يسمّى استعارة، لذلك قيل في **تعريفها**: إنّها مجاز يقوم على علاقة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له، فعندما تقول (التقيت بحراً يعطي الفقير والمحتاج) أفْهمتَ أنّك عقدت مشابهة بين الرجل الكريم والبحر، ثمّ كأنّك استغنيت عن ذكر المشبّه وهو (الرجل الكريم) وذكرت المشبّه به (البحر)، فالمشبّه به المذكور هو اللفظ المستعار، استعرته من معناه المعروف في اللغة وهو (مجمع المياه الكثيرة المالحة) للجواد الكريم، فهذا مجاز لأنّك لم تستخدم (البحر) بمعناه الحقيقي، هذا شيء، والشيء الآخر أنّ المشابهة التي أضمرتَها في نفسك بين الرجل الكريم والبحر هي التي حكمت علاقة هذا المجاز، فالمجاز استعارة، وفي عبارتك السابقة (التقيتُ بحراً يعطي الفقير والمحتاج) ذكرتَ(يعطي الفقير والمحتاج) وهي الكلمة التي منعت من إرادة المعنى الأصلي لكلمة (البحر) لأنّ البحر الحقيقي لا يعطي، وقولك (يعطي الفقير والمحتاج) يسمّى قرينة.

زيادة في توضيح معنى القرينة أسوق إليك ما قاله عبد القاهر الجرجاني: ((إذا قلت رأيت أسداً صلح هذا الكلام لأن تريد به أنّك رأيت واحداً من جنس السبع المعلوم وجاز أن تريد أنّك رأيت شجاعاً باسلاً شديد الجرأة، وإنّما يفصل لك أحد الغرضين من الآخر شاهد الحال وما يتصل به من الكلام من قبل وبعد)) [1].

١- أسرار البلاغة : ص ٢٠٩.

والقرينة نوعان:

لفظيّـــة: وهي التي يُدلّ عليها بلفظ يذكر في الكلام ليصرفه عن معناه الحقيقي ويوجّهه إلى معناه المجازي المراد.

وحـــالية: وهي التي يُدلّ عليها بأمر خارج عن اللفظ يُفهـــم فهمـــاً، وسوف نحدّثك بعد قليل عن القرينة والفرق بينها وبين العلاقة.

واعلم أنّ الاستعارة في اللغة مأخوذة من العاريّة[1] التي هي ضرب مـــن المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً مـــن الأشـــياء، قـــال الجرجاني: إنّ من شرط المستعار أن يحصل للمستعير منافعه على الحدّ الـــذي يحصل للمالك.

فإن كان ثوباً لبسه كما لبسه، وإن كان أداة استعملها في الشيء تصلح له ، حتّى إنّ الرائي إذا رآه معه لم تنفصل حاله عنده من حال ما هو ملـــك يد ليس بعارية ، وإنّما يفضله المالك في أنّ له أن يتلف الشيء جملة أو يدخل التلف على بعض أجزائه قصداً، وليس للمستعير ذلك[2].

وقال ابن الأثير: ((ولا يقع ذلك - يقصد الاستعارة- إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما شيئاً من الآخر إن لم يعرفه ، وهـــذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة

١- انظر لسان العرب: عير، والعاريّة: المنيحة سُمّيت كذلك لأنها عار على صاحبها.

٢- أسرار البلاغة: ص ٢٨٢.

بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر))[1].

هذا وقد مرّ مصطلح(الاستعارة) بمراحل حتّى صار على المعنى الذي نعرفه اليوم.

فكان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) من أوّل مَنْ ذكر الاستعارة في كتابه (البيان والتبيين) وذلك حين عرض لقول الشاعر:

يا دارُ قد غيرّها بلاها كأنّما بقلمٍ محاها

أخربها عمرانُ مَنْ بناها وكرُّ مماساها على مغناها

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

فقال: ((عيناها ها هنا للسحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه))[2].

وجاء بعده ابنُ المعتز (ت ٢٩٦هـ) ثم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ثم الرماني (ت ٣٨٦هـ) وأدلى كلّ منهم بدلوه في الحديث عنها والتمثيل لها.

ثمّ كان لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) حديث عنها في كتابه (أسرار البلاغة) وقد جعلها من البديع فقال: ((وأمّا التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أنّ الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلاّ من جهة المعاني خاصة من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب... وأمّا

١- المثل السائر: ٢/٧٧.

٢- البيان والتبيين: ١/١٥٢-١٥٣.

الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتُستفتى فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والآذان)) [1].

وعرّف الاستعارة فقال: ((اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقل إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية)) [2]، وهو الذي جعلها من المجاز اللغوي[3]، وعندما فصّل الحديث عنها جعلها قسمين: مفيدة وغير مفيدة، وقسم المفيدة إلى تصريحيّة ومكنيّة[4].

ولابدّ من أن تفيد الاستعارة عنده المبالغة في إخراج المشبّه عن معناه وإلحاقه بمعنى المشبّه به حتّى يصير كأنّه من جنسه أو من نوعه، فإن الاستعارة من شأنها أن تسقط ذكر المشبّه وتطرحه وتدّعي له الاسم الموضوع للمشبّه به[5].

وقد خطا مصطلح (الاستعارة) على يد عبد القاهر الجرجاني خطوات واسعة، ومرّ بمراحل حتّى آتى أُكُلَهُ عند المتأخّرين كالسكاكي (ت ٦٢٦هـ)

١- أسرار البلاغة: ص ١٤- ١٥.

٢- أسرار البلاغة: ص ٢٢.

٣- نفسه : ص ٣٣٠.

٤- أسرار البلاغة: ص ٣٤- ٣٥.

٥- نفسه: ص ٣٥.

وابن مالك (ت ٦٨٦هـ) والقزويني (ت ٧٣٩هـ)، الذين جعلوها من علم البيان، فعرّفها القزويني بأنّها مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمّى المشبّه به مستعاراً منه والمشبّه مستعاراً له واللفظ مستعاراً[1].

ومعظم التعريفات التي ذكرها علماء البلاغة للاستعارة على مرّ العصور تؤكدّ أمرين الأوّل أنها مجاز لغويّ علاقته المشابهة، الثاني أنها -في حقيقتها- تشبيه حذف منه أحد الطرفين.

١- الإيضاح : ١٥٨.

العلاقة :

مرّ معك قبل قليل أنّ الاستعارة مجاز لغوي وكذلك المجاز المرسل، وعرفت قبلئذٍ الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي، والفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل الذي يكاد ينحصر في العلاقة، فما العلاقة؟

العلاقة في الاستعارة هي ما يسوّغ لنا نقل المعنى من لفظ إلى لفظ آخر، فثمّة علاقة بين اللفظ المستعار له واللفظ المستعار منه حتّى تصحّ الاستعارة، وهذه العلاقة كما أخبرناك هي علاقة المشابهة.

جاء في المثل السائر: ((وإنّما سُمّي هذا القسم من الكلام استعارة لأنّ الأصل في الاستعارة المجازيّة مأخوذ من العاريّة الحقيقيّة التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما تناسب ومعرفة ممّا يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر[1])).

فتلك العلاقة التي تُبيح لنا التجوّز على سبيل الاستعارة هي المشابهة بين المنقول منه والمنقول إليه أي المستعار له، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦].

١- انظر المثل السائر: ٢/ ٧٧.

تجد أنّ كلمة (واد) مستعملة في غير معناها الحقيقي، فالمراد بها هنا الأغراض والمعاني والموضوعات التي يطرقها الشعراء، والسؤال هنا ما العلاقة بين الأودية الحقيقيّة وبين الأغراض الشعريّة؟

نقول هي علاقة مشابهة تتمثل في الاتّساع والعمق وبذل المجهود في قطعها، وخُصّت الأودية بالاستعارة و لم يستعر الطرق أو المسالك أو ما جرى مجراها لأنّ معاني الشعر تُستخرج بالفكرة والرويّة، والفكرة والرويّة فيهما خفاء وغموض، فكان استعارة الأودية لها أشبه وأليق[1].

هذا معنى أن الاستعارة قائمة على التشبيه إلاّ أنّها أشدّ مبالغة منه لاعتمادها على أحد طرفيه الأساسيين لا غير، المشبّه أو المشبّه به، وهي أكثر بلاغة من التشبيه البليغ مع بلاغته لاعتمادها على تناسي التشبيه، ممّا يجعلها أدقّ افتناناً وألطف بياناً وأبهى حلّة، تلمّسْها في قول الشاعر:

فرعاءُ إن نهضت لحاجتها عجل القضيبُ وأبطأ الدعصُ

إذ شبّه قدّها بالقضيب بجامع الاعتدال، وشبّه ردفها بالدعص بجامع الكبر و الضخامة، وحذف المشبّهين وذكر المشبّهين بهما متناسياً التشبيه، ثمّ تبيّنْها في قول الوأواء الدمشقي:

فأمطرتْ لؤلؤاً من نرجس وسقتْ ورداً وعضّتْ على العنّابِ بالبردِ

١- بتصرّف عن كتاب المثل السائر: ٢/٩٧.

القرينة

عرفت أنّ المجاز —ومنه الاستعارة— هو استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة، فما القرينة؟

القرينة : هي الدليل الذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي إذ يستعان بها على تحديد المعنى المجازي.

اقرأ قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، تجد أنّ فيها استعارتين إحداهما في (ميْتاً) والثانية في (أحييناه)، وأنّهما استعيرتا للضلال والهدى، ودلّنا على مجازيّتهما السياقُ أو حال الكلام لذلك أطلقنا على هذه القرينة اسم القرينة الحالية.

ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

تجد أن السكوت مستعار لانتهاء الغضب بجامع الهدوء المترتّب على كلّ منهما، ودلّنا على مجازيّة ذلك دليل، وهو دليل لفظي كلمة (الغضب) التي جاءت فاعلاً لفعل(سكت)، وإسناده إليها دلّ على أنّ السكوت غير حقيقي، لذلك أطلقنا على هذه القرينة اسم القرينة اللفظية، وكذلك في البيت الذي قرأته قبل قليل:

فرعاءُ إن نهضت لحاجتها ... عجل القضيبُ وأبطأ الدعصُ

قرينته لفظية وهي كلمة (فرعاء).

أنواع الاستعارة وأقسامها

عرفت قبل قليل أنّ الاستعارة مجاز قائم على علاقة التشبيه، بل إنّ التشبيه كالغرض فيها، أو كالعلّة والسبب في فعلها[1]، وهي بالنظر إلى حذف أحد طرفي التشبيه تصريحية أو مكنيّة.

١- الاستعارة التصريحيّة:

وهي التي حذف فيها المشبّه وصُرّح بذكر المشبّه به، تقول مثلاً: عنّت لنا ظبية ذاتُ خُلُق، فهنا استعارة تصريحيّة لأنّ أساسها قائم على تشبيه امرأة جميلة بظبية، ثمّ كأنّما حذف المشبّه (امرأة جميلة) وصرّح بذكر المشبّه به (ظبية) على سبيل الاستعارة التصريحيّة، والقرينةُ قولك(ذاتُ خُلُق)

اقرأ قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

تجد أنّ في الآية استعارتين، الأولى في (الظلمات) والثانية في (النور) ، فكأنّما شُبّهت الضلالة والجاهلّية والضياع والطيش..... بالظلمات، ثم حذفت كلّ هاتيك المشبّهات وصرّح بذكر المشبّه به (الظلمات) على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

وكأنّما شبّه الهدى والإيمان والعلم والإسلام بالنور، ثم حذفت كلّ هاتيك المشبّهات وصرّح بذكر المشبّه به (النور) على سبيل الاستعارة التصريحيّة، والقرينة في الاستعارتين حالية مفهومة من سياق الكلام.

١- انظر أسرار البلاغة: ص ٢٠٧.

يصف المتنبي دخول رسول الروم على سيف الدولة بقوله:

وأقبل يمشي في البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

في البيت استعارتان، الأولى في (البحر) والثانية في (البدر)، وإذا تأملتَ كُلّاً منهما وجدت أنّ الأولى تضمّنت تشبيهاً بين سيف الدولة وبين البحر، وأنّ الثانية تضمّنت تشبيهاً بين سيف الدولة وبين البدر، ثمّ كأنّما حذف المشبّهان في الاستعارتين وصرّح بذكر المشبّهين بهما (البحر والبدر) على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة هنا لفظيّة وهي قوله (وأقبل يمشي في البساط).

يقول مسكين الدارمي:

لحافي لحاف الضيف والبيت بيتُهُ ولم يلهني عنه غزالُ مقنّعٌ

أحدّثه إنّ الحديث من القِرى وتعلمُ نفسي أنّه سوف يهجعُ

ومعنى البيتين أنّ كلّ ما أملكه هو ملك للضيف وليس يلهيني عنه ما يلهي الآخرين من النساء الحسناوات، وإنّ إكرامي له لا يقتصر على الطعام والشراب، بل ما أفتأ أحدثه وأونسه حتى ينام. ولعلك أدركت أنّ الاستعارة في عجز البيت الأوّل، فكأنّما شبّه الشاعر المرأة الحسناء بالغزال بجامع الملاحة والحسن في كلّ منهما، ثمّ حذف المشبّه (المرأة الحسناء) وصرّح بذكر المشبّه به (غزال) على سبيل الاستعارة التصريحيّة والقرينة (مقنّع).

ويقول الشاعر مادحاً:

وصاعقةٍ في كفّــه ينكفــي بهــا على أرؤس الأعداء خمسُ سحائبِ

هاهنا استعارتان، الأولى في (صاعقة) والثانية في(سحائب)، فكأنّما شبّه السيف أو نصله بالصاعقة لتشابهما في إيقاع الأذى على ما ينــزلان عليــه، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به (الصاعقة) على ســبيل الاســتعارة التصريحيّة.

ثمّ كأنّما شبّه أصابع الممدوح بالسحائب لتشابههما في الخير والجود، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به (سحائب) علــى ســبيل الاســتعارة التصريحيّة، والقرينة (في كفّه).

٢- الاستعارة المكنيّة:

وهي التي حذف فيها المشبّه به وكُنّي عنه بشيء من لوازمه أو بشيء يتبعه أو يدلّ عليه، تقول مثلاً: أعجبتُ بعالم يغترف منه الناس، وأنت مدرك أنّك شبّهت العالم بالبحر، ثمّ كأنّك حذفت المشبّه به (البحر) وذكرت شيئاً من لوازمه وهو (يغترف) لأنّ الاغتراف في حقيقته للماء أو نحوه، وصــار كلامك على سبيل الاستعارة المكنيّة.

تعال نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، ألست ترى أنّه كأنّما شبّه الذلّ بطائر (بجامع الخضوع) ثم حذف المشبّه بــه (الطائر) وذُكر شيء من لوازمه وهو (جناح) لأن الجناح في حقيقته للطائر، والكلام جارٍ على سبيل الاستعارة المكنيّة؟

قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي أبناءه:

وإذا المنيّة أنــشبت أظفارهــا ألفيت كلّ تميمــةٍ لا تنفــعُ

كأنّما شُهبّت المنيّة بالسبع الذي لايفرّق عند افتراسه بــين النــاس، ثمّ حذف المشبّه به (السبع) وذُكر من لوازمه (الأظفار) على سبيل الاســتعارة المكنيّة .

وقال غيره:

ولئن نطقتُ بشكر برّك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية أنطــقُ

كأنّما شبّهت الحال بإنسان، ثمّ حذف المشبّه به (الإنسان) وذُكر مــن لوازمه ما يتعلّق به وهو (لسان).

وقد أُعجب عبد القاهر الجرجاني بالاستعارة[1] من هــذا النوع في قول الشاعر:

اليوم يومان مذ غيّــبتَ عن بصري نفسي فداؤك ما ذنبي فأعتذرُ

أمسي وأُصبحُ لا ألقاك واحزنا لقد تأنّقَ في مكروهي القــدرُ

جعل القدر كالإنسان فذكر له فعل (تأنّق).

وجعل - أي الجرجاني - الأصل في شرف الاستعارة قــول امــرىء القيس:

فقلتُ له لّما تمطّــى بــصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ

١- دلائل الإعجاز : ص ٧٦.

فقال: ((لمّا جعل للّيل صلباً قد تمطّى به وثنّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب، وثلّث فجعل له كلكلاً قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قُدّامه وإذا نظر إلى خلفه وإذا رفع بصره ومدّه في عُرض الجوّ[1].

إذاً الاستعارة بالنظر إلى طرفي التشبيه تصريحيّة أو مكنيّة.

والآن سنرى أنواعاً أخرى للاستعارة، منها ما هو بالنظر إلى اللفظ المستعار أجامد هو أم لفظ مشتقّ؟ ومنها ما هو بالنظر إلى ملائم المشبّه أو المشبّه به أو كليهما.

الاستعارة بالنظر إلى اللفظ المستعار أجامد أم مشتق أصلية وتبعيّة.

١- الاستعارة الأصليّة: وهي التي يكون فيها اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرتْ فيه اسماً جامداً (غير مشتقّ)، كما في قول الشاعر يرثي ابنه:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

فاللفظ المستعار (كوكب) اسم جامد، وكأنّما شبّه الشاعر ابنه بالكوكب ثم حذف المشبّه (الابن) وصرّح بذكر المشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

ومن هذا النوع قول المتنبّي:

حملتُ إليه من لساني حديقةً

سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

١- دلائل الإعجاز: ص ٧٩.

إذ استعار (الحديقة) وهي اسم جامد، وكأنّما شبّه شِعره بها ثم حذف المشبّه (شعره) وصرّح بذكر المشبّه به (حديقة) على سبيل الاستعارة التصريحيّة الأصلية.

وفي عجز البيت استعارة أخرى فكأنّما شبّه الشاعر عقله(الحجا) بالسحاب بجامع غزارة النفع ثم حذف المشبه به (السحاب) وذكر من لوازمه (سقي) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

قال العكبري: ((جعل القصيدة حديقة لما فيها من المعاني كما يكون في الروضة الزهر والنبات، وجعل العقل ساقياً لها لأنّ المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل، فجعل العقل ساقيها كما تسقي الرياض السحاب)) [1].

٢-الاستعارة التبعيّة: وهي التي يكون فيها اللفظ المستعار اسماً مشتقّاً أو فعلاً، وسمّيت تبعيّة لأنّها مبنيّة على استعارة أخرى، فهي تابعة لها في إجرائها، تأمل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾[البقرة: ١٦]، تجد أنّ اللفظ المستعار هو (اشتروا) وهو -كما ترى- فعل، والمقصود استبدلوا الضلالة بالهدى، لأنّ الضلالة لا تُشترى، ولكنّها يمكن أن تُستبدل بغيرها، وعند إجراء الاستعارة وتحليليها نقول: كأنّما شُبّه الاستبدال بالشراء ثمّ حذف (الاستبدال) واشُتقّ من الشراء وهو المشبّه به فعل (اشتروا) بمعنى استبدلوا على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة.

١- ديوان أبي الطيب : ١/ ١٥٨.

قال البحتري يصف قصراً:

ملأتْ جوانبُهُ الفضاءَ وعانقتْ شرفاتُهُ قطعَ السحاب الممطرِ

اللفظ المستعار (عانقت) وهو فعل، فكأنّما شبّه الشاعر الملامسة بالمعانقة، ثمّ حذف المشبّه (الملامسة) واشتقّ من المعانقة فعل (عانق) بمعنى لامس على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة.

الاستعارة بالنظر إلى ملائم المشبّه أو المشبّه به أو كليهما وعدم الملاءمة مرشّحة ومجردة ومطلقة:

١- **الاستعارة المرشحة**: وهي التي اقترنت بما يلائم المشبّه به (أو المستعار منه) كما في قول الشاعر:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلا كله أناخ بآخرينا

ففي (الدهر) استعارة مكنيّة، وكأنّما شُبّه الدهر بجمل ثم حُذف المشبّه به (جمل) وذُكر من لوازمه لفظ (كلاكله)، وذكر الشاعر في هذه الاستعارة شيئاً يلائم المشبّه به (الجمل) وهو (أناخ بآخرينا)، لهذا سمّينا هذه الاستعارة الاستعارة المرشّحة أو الترشحيّة.

قال المتنبي:

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم وأتيناه على هرمِ

في البيت استعارة، فكأنّما شبّه الزمان بإنسان ثم حذف المشبه به والقرينة(بنوه)، ثمّ ذكر الشاعر ما يلائم المشبّه به (المحذوف) وهو قوله (شبيبته – هرم) فالاستعارة مرشّحة.

٢- الاستعارة المجرّدة: وهي التي اقترنت بما يلائم المشبّه (أو المستعار له)، كما في قول البحتري مادحاً:

يؤدّون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان بادِ

فهاهنا استعارة، إذ كأنّما شبّه الممدوح بالقمر ثم حذف المشبّه (الممدوح)، وذكر الشاعر ما يلائم المشبّه وهو قوله (الإيوان)، لأنّ الإيوان للممدوح وليس للقمر، فالاستعارة مجرّدة أو تجريديّة.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقّة: ٦- ٧].

فهاهنا استعارة إذ كأنّما شُبّهت الشدّة بالعتوّ ثمّ ذكر ما يلائم الشدّة (المشبّه) وهو قوله: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ ، والاستعارة مجرّدة.

٣- الاستعارة المطلقة: وهي التي لم تقترن بما يلائم أحد الطرفين، أو اجتمع فيها ترشيح وتجريد، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقّة: ١١]،نجد أن الاستعارة في (طغى)، فكأنّما شُبّهت الزيادة بالطغيان بجامع تجاوز الحدّ في كلٍّ، ثمّ اشُتقّ من الطغيان فعل(طغى) بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة، وليس في هذه الاستعارة - كما ترى - شيء يلائم المشبّه ولا شيء يلائم المشبّه به، فهي لذلك استعارة مطلقة.

وفي قول الشاعر:

قومٌ إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا

استُعير (الشرّ)، فكأنّما شبّه الشرّ بحيوان مفترس ثمّ حذف المشبّه به (الحيوان المفترس) وذُكر شيء من لوازمه وهو (أبدى ناجذيه) على سبيل الاستعارة المكنيّة، و لم يُذكر هنا- كما ترى- شيء يلائم المشبّه ولا شيء يلائم المشبّه به فهي أيضاً استعارة مطلقة.

أمّا في قول كثيرّ عزّة:

رَمتْني بسهمٍ ريشُهُ الكحلُ لم يضر

ظواهرَ جلدي وهو للقلبِ جارحُ

فقد شُبّهت نظرة المحبوبة في تأثيرها وقوّتها بالسهم، أي أنّه استعار السهم للطرفِ، ثم ذكر (ريشُهُ) ممّا يلائم المشبّه به (السهم)، وذكر (الكحل) ممّا يلائم المشبّه (العين أو الطرف)، أي أنّه قد اجتمع في هذه الاستعارة تجريد وترشيح معاً، فهي أيضاً استعارة مطلقة.

ومن الاستعارة المطلقة لاجتماع التجريد والترشيح معاً فيها قول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مقذّفٍ له لبدٌ أظفارُهُ لمْ تُقلَّمِ

فـ(شاكي السلاح) يلائم المشبّه لأن الأسد ليس له هذه الصفة، و(له لبد أظفارُهُ لم تُقلّم) يلائم المشبّه به (الأسد).

الاستعارة التمثيليّة:

وهي استعارة مَثَل أو حكمة، أي استعارة صورة أو تركيب وليست استعارة كلمة، وهذا يذكرّك بالتشبيه التمثيلي الذي عرفتَ أنّه تشبيه صورة بصورة ، لكنّك في التشبيه التمثيلي أمام صورتين تمثّلان الطرفين الأساسيّين للتشبيه، أمّا في الاستعارة التمثيلية فأنت أمام صورة واحدة وهي صورة المشبّه به، أليست الاستعارة تشبيهاً حذف منه أحد الطرفين؟!.

وتقوم هذه الاستعارة على أن يتمثّل المتكلّم ــ في حالة ما ــ بمَثَل من أمثال العرب قيل في مثلها، ثمّ يترك المشبّه أي الحالة التي قيل فيها، ويذكر المشبّه به أي صورة المَثَل، وإليك البيان:

تقول العرب: (أحشفاً وسوء كيلة)، وهو مَثل قصّتُهُ أنّ رجلاً أراد أن يشتري تمراً، فكان من البائع أن اختار له الحشف (التمر الرديء) وأنقص له في الكيل، فقال له الرجل: (أحشفاً وسوءَ كيلةٍ)، يعني أنّك أيها البائع قد جمعت بين سيّئتين : رداءة التمر ونقص الكيل، ثم ذهبت عبارتُهُ مثلاً.

الآن، عندما يستخدم المرء هذا المَثَل في حالة مشابهة للحالة التي قيل فيها يكون كلامه جارياً على سبيل الاستعارة التمثيليّة. كيف؟!

هبْ أنّك تحاضر في قاعة علم (في جامعة أو مدرسة أو معهد) ثمّ دخل أحد الطلاب متأخّراً، وجلس يتحدّث إلى زميله وأنت تلقي الدرس، فأدركتَ أنّ هذا الطالب جمع بين أمرين سيّئين : الدخول متأخراً والحديث إلى زميله، وتذكرت ذلك البائع الذي جمع بين أمرين سيّئين: الرداءة والنقص، وما قاله له الرجل من المثل الذي ذُكر قبل قليل، الآن إذا

استخدمت هـــذا المثل فقلت للطالب (أحشفاً وسوء كيلة) يكون كلامـــك جارياً على سبيل الاستعارة التمثيليّة.

ويكون تحليل هـــذه الاستعارة كما يلي: كأنّما شُبّهت هيئة من يَظلم من جهتين أو (يجمع بين أمرين سيّئين وهي هنا حالة الطالب) بهيئة من باع التمر الرديء وأنقص وزنه وقيل له المثل، ووجه الشبه هنا الظلم أو الخطـــأ، ثمّ حذف المشبّه وهو هيئة الطالب وذكر المفيد في المشبّه به وهو صورة المثل (أحشفاً وسوء كيلة).

وعلى هـــذا فكلّ مثل أو حكمة في الشعر أو في النثر يصلح أن يكون استعارة تمثيليّة إذا حصل في حالة مشابهة لحالة أصله.

وأمثال العرب كثيرة ، وكُتب الأمثال منشورة وكثيرة، تقرأ منـــها في النثر:

- (إنّ البغات بأرضنا يستنسر) ، يضرب للضعيف يصير قوياً.
- (قبل الرماء تُملأ الكنائن)، يضرب في وجوب الإعداد السليم للأمر قبل حصوله.
- (لا تنثر الدرّ أمام الخنارير)، يضرب لمن يقدّم النصح لمن لا يفهمه أو لا يعمل به.
- (أنت تصرخ في واد)، يُضرب لمن يعمل ما لا فائدة فيه.
- (ما يومُ حليمةَ بسرّ)، يضرب لكلّ أمر معروف مشهور.

وتقرأ من هـــذه الأمثال في الشعر:

ومن يك ذا فم مـــرّ مـــريضٍ يجدْ مرّاً بـــه المـــاء الـــزلالا

يُضرب لمن لا يعرف قيمة الشيء.

ومن ملك البلاد بغير حـــربٍ يهونُ عليـــه تـــسليمُ الـــبلادِ

يُضرب لمن يفرّط فيما لا يتعب في تحصيله.

وليس يصحّ في الأذهان شـــيءٌ إذا احتاج النـــهارُ إلى دليـــلِ

يُضرب للأمر المسلّم بوضوحه.

ومما يُعدّ من الاستعارة التمثيليّة قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد علّق الدكتور فضل عباس على هـــذه الآيـــة بقولـــه: ((هدفُ الآية الكريمة -والله أعلم- توجيهُ الناسِ إلى أن لا ينشغلوا بغير مـــا يعود عليهم بالخير والفائدة فلقد سأل الصحابةُ رضوان الله عليهم الرســـولَ عليه الصلاة والسلام عن الهلال: ما باله يبدو صغيراً ثمّ يكبر ثم يعود كمـــا بدأ؟ فأرشدهم الله إلى أنّه من الأحرى بهم أن يسألوا عمـــا يجـــديهم، وأن يعيشوا مَعَ واقعهم فقـــال ســـبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ ، فقد شُبّهت حالة الذي يعنى بغير ما يجديه بحال الذي يأتي البيت

من ظهره، فهو مضطرّ إلى أن ينقّب ويخرّب ليستطيع دخول البيت، وكان من حقّه أن يلج البيت من بابه)) [1].

فهنا استعارة تمثيليّة حذف فيها المشبّه (حالة الذي يُعنى بغير ما يجديه)، وذكر المشبّه به (حالة الذي يأتي البيت من ظهره ولا يأتيه من بابه) المفهومة من سياق الآية.

مكانة الاستعارة في البلاغة:

الاستعارة أبلغ من الحقيقة وأبلغ من التشبيه، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((اعلم أنّ من شأن الاستعارة أنّك كلّما زدت إرادتك التشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسناً، حتى إنّك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد ألفّ تأليفاً إن أردتَ أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع، ومثال ذلك قول ابن المعتز:

أثمرتْ أغصانُ راحتِهِ لُجناةِ الحُسْنِ عُنّاباً

ألا ترى أنّك لو حملتَ نفسك على أن تظهر التشبيه وتفصح به احتجتَ إلى أن تقول (أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العنّاب من أطرافها المخضوبة) وهذا مالا تخفى غثاثته))[2].

١- البلاغة وفنونها وأفنانها: علم البيان والبديع: ص ١٩٤.

٢- دلائل الإعجاز : ص ٤٥٠- ٤٥١.

من خصائص الاستعارة:

- شرح المعنى وتوضيحه، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، تجد أنّ حقيقته كثرة الشيب في الرأس، واستعارة الاشتعال أبلغ لفضل ضياء النار على بياض الشيب ولإفادتها القوّة في هذا المعنى.

- المبالغة في تأكيد المعنى، اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، تجد أنّ حقيقة المعنى: لمّا علا، والاستعارة أبلغ لأنّ فيها دلالة القهر لما في الطغيان من علوّ فيه غلبة وقهر.

وفي معنى المبالغة قول أبي تمّام:

ويصعدُ حتّى يظنَّ الجهولُ بأنّ له حاجةً في السماءِ

فقد جعل الشاعر ارتقاء ممدوحه في الخصال العالية والمراتب الشريفة كالصعود إلى السماء، وفي هذه الاستعارة من تناسي التشبيه ما يدلّ على صفة المبالغة في تأكيد المعنى.

- التشخيص والتجسيد في المعنويات وبثّ الحياة والنطق والحركة في الجماد، يقول عبد القاهر: ((فإنك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفيّة بادية جليّة.... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جُسّمت حتى رأتْها العيون، وإن شئت لَطُفت الأوصاف الجسمانيّة حتّى تعود روحانيّة لا تنالها إلاّ الظنون)) [1].

١- أسرار البلاغة: ٣٣.

اقرأ قوله تعالى: ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك: ٧-٨].

تجد أنّ (تميزّ من الغيظ) حقيقته من شدّة الغليان بالاتّقاد، والاستعارة كما يقول الرمّاني[1] أبلغ لأنّ مقدار شدّة الغيظ على النفس محسوس مدرك ما يدعو إليه من شدّة الانتقام، لقد صوّرت هذه الاستعارة نار جهنمّ وأبرزتْها في صورة تنخلع القلوب من هولها رعباً وفزعاً بصورة مخلوق جبّار مكفهرّ الوجه يغلي صدره حقداً وحنقاً وغيظاً.

- الإيجاز، فهي تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ حتّى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر[2]، ويكفيك لتلمس هذا الإيجاز أن تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، إذ كأنّما شبّه التبليغ بالصدع بجامع المشقّة في كلّ، ثمّ حذف المشبّه وصرّح بذكر المشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحيّة، ثمّ اشتُقّ من الصدع فعل (اصدع) بمعنى بلّغ فالاستعارة تبعيّة.

ومن هذا الإيجاز الذي تقدّمه الاستعارة قول الرسول عليه السلام: (إيّاكم وخضراء الدمن) مشبّهاً المرأة الحسناء في منبت السوء بالشجرة البهيّة تنبيت في تربة سيئة.

١- النكت في إعجاز القرآن: ص ٨٧.

٢- انظر أسرار البلاغة : ص ٣٣.

تدريب محلول في بحث الاستعارة

س: اشرح الاستعارات فيما يلي مبيّناً نوعها:

أ- ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

ب- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾[الملك: ١٥].

ج- إذا ما صافح الأسماع يوماً

تبسمتِ الضمائرُ والقلوبُ

د- والبحر كم ساءلتُهُ فتضاحكت

أمواجه من صوتي المتقطع

هـ- إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسُها

عند التقلّب في أنيابها العطبُ

و- إذا اعتاد الفتى خوض المنايا

فأيسرُ ما يمرُّ به الوحولُ

الجواب:

أ- كأنّما شُبّه العهد بالحبل بجامع النجاة في كلّ، ثم حذف المشبّه(العهد) وصرّح بذكر المشبّه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

ب-كأنّما شبّهت الأرض بالحيوان المذلّل، ثم حذف المشبّه به(الحيوان) وكنّي عنه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنيّة.

ج-كأنّما شبّهت الضمائر والقلوب بإنسان، ثمّ حذف المشبّه به (الإنسان) وذُكر شيء يدلّ عليه وهو (تبسّمت) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

د- كأنّما شبّهت الأمواج بإنسان، ثم حذف المشبّه به ودلّ عليه لفظ (تضاحكت) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

هـ- استعارة تمثيليّة ، يضرب المثل فيها لمن يغرّه المظهر فيذعن للمخبر.

و- استعارة تمثيليّة، يضرب المثل فيها لمن عركتْه الأيّام بالشدائد فهو لا يهتّم بالصغائر والتوافه.

تدريب يطلب حلّه

س: اشرح الاستعارات فيما يلي مبيّناً نوعها:

أ- ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

ب- خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفُهُ

وفي أُذُنِ الجـــوزاء منـــه زمـــازمُ

ج- ياظبية البـــان ترعـــى في خمائلـــه

ليهنك اليـــوم أنّ القلـــب مرعـــاك

د- ومَنْ يجعلِ الضرغام بـــازاً لـــصيده

تـــصيّده الـــضرغام فيمـــا تَـــصَيّدا

هـــ- لا يضرُّ السحاب نباحُ الكلاب

و- ديمـــةٌ سمحـــةُ القيـــاد ســـكوبُ

مستغيث بهـــا الثـــرى المكـــروبُ

ز- إذا ما رأيت البحـــر يبـــسط كفّـــه

فلا تخش إقلالاً من الدهر أو عـــدْما

ح- وليلة مرضتْ مـــن كـــل ناحيـــة

فما يـــضيء بهـــا نجـــم ولا قمـــر

الكناية

الكناية في اللغة مصدر فعل كنيت أو كنوت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، وفي لسان العرب[1]: كنّى عن الأمر بغيره يكني كناية ويكنو:

وإنّي لأكنو عن قدور بغيرها وأعرب أحياناً بها فأصارح

وفي الاصطلاح: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، يقول العرب: (زيد طويل النجاد)، يريدون أنّه فارس شجاع طويل القامة، فعدلوا عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها لأنّه يلزم من طول حِمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فالمراد طول قامته وإن لم يكن له نجاد.

وللكناية على هذا دلالتان:

الأولى- قريبة: وهي الدلالة الوضعيّة لألفاظ الأسلوب -وهي في العبارة السابقة طول حمائل السيف- وهذه الدلالة لا تكون مرادة للمتكلّم غالباً.

الثانية- بعيدة: تومئ إليها الدلالة الأولى ولا تُفهم مباشرة من ألفاظ الأسلوب، وهي المرادة من المتكلّم، وهي في العبارة السابقة شجاعة زيد وطول قامته.

١- مادة كنى.

ويعرّف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقوله: ((هي أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم.....كثير رماد القدر يعنون كثير القِرى، وفي المرأة نؤوم الضحى والمراد أنّها مُترفة مخدومة لها ما يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كلّه -كما ترى- معنى، ثُمّ لم يذكروه بلفظه الخاصّ به، ولكنّهم توصّلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، أفلا ترى أنّه إذا كثر القِرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى))[1].

وليس في الكناية ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي، ومن هنا نراها تختلف عن المجاز، لأنّ في المجاز دائماً ما يمنع من إرادة المعنى الحقيقي وهو ما سمّيناه في البحث السابق (القرينة)، ألم تر أنّ (الظلمات والنور) في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، لا يمكن أن تُراد حقيقتُهما على الإطلاق، وإنّما المراد مجازيتُهما عن الضلالة والهداية، والقرينة التي أفهمتْنا ذلك عقلية.

فـ(كتابٌ) وهو هنا القرآن الكريم ليس من شأنه أن يخرج من العتمة إلى الضوء، أمّا في عبارة الجرجاني السابقة (هو كثير الرماد) فلا مانع فيها من إرادة المعنى الأصلي فقد يكون الموصوف بها فعلاً ذا رماد كثير.

١- دلائل الإعجاز: ص ٦٦.

يقول السكاكي في الفرق بين الكناية والمجاز: ((إنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قوله: (فلان طويل النجاد) أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته، وفي قولك: (فلانة نؤوم الضحى) أن تريد أنّها تنام ضحى لا عن تأويل يرتكب في ذلك مع إرادة كونها مخدومة مرفّهة.

والمجاز ينافي ذلك، فلا يصحّ في نحو(رعينا الغيث) أن تريد معنى الغيث من غير تأويل))[1].

اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقفْ عند ﴿ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ واربط هذه العبارة بما يألفه الناس من الربط بين العضّ على اليدين وبين الندم والحسرة، تجد أنّ الذهن ينتقل سريعاً من الدلالة الحسّية المباشرة من عضّ الظالم على يديه إلى لازم هذه الدلالة وهو الندم والحسرة على ما فرّط في جنب الله في وقت لا ينفع فيه الندم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

فإن الربط بين تصعير الخدّ وبين التكبّر والتعالي مما يعرفه الناس، هذا التلازم بين المعنى الأول والمعنى الثاني هو الذي يسوّغ لنا الانتقال من الأوّل إلى الثاني، لذلك تجد الذهن ينتقل من الدلالة الحسّية المباشرة (هيئة تصعير الخدّ) إلى لازم هذه الدلالة وهو (التكبّر والتعالي) الذي يعدّ تصعير الخدّ دليلاً عليه.

١- مفتاح العلوم: ص ٤٠٣.

أنـــواع الكنايـــة

الكناية ثلاثة أنواع: (كناية عن صفة-كناية عن موصوف- كناية عن نسبة).

١- الكناية عن صفة:

وهي التي تُطلب فيها نفس الصفة، والـصفة المـرادة هنـا معنويّـة كالشجاعة والكرم والطول والحسن، وليست الصفة التي هي النعت في علم النحو، انظر كيف عبرّ الشاعر عن كرم ممدوحه (والكرم صفة) عن طريـق الكناية، يقول:

لعبـد العزيـز علـى قومـه وغيرِهُـمُ مـنٌ ظـاهره
فبابـك أسـهلُ أبـوابهم ودارك مأهولـة عـامره
وكلبـك آنـس بـالزائرين مـن الأم بالإبنـة الزائـره

فقد كنّى عن كرم عبد العزيز بفرحة الكلب وأُنسه بـالزائرين، لأنّـه -أي الكلب- تعوّد مقدمهم وألف ورودهم إلى دار الممدوح.

والصفة ذاتها (الكرم) كنّى عنها شاعر آخر بقوله:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلّمُهُ من حبّه وهو أعجـم

ويبدو أنّ فرحة الكلب وأنسه بالضيوف أو جُبنَه وعدم نباحه علـيهم كان من المعاني الأساسيّة التي استند إليها الشعراء في التعبير عن الكرم.

ومن هـذه الكناية (الكناية عن صفة) قول المتنبيّ في إيقـاع سـيف الدولة بأعدائه وفتكه بهم:

فمـسّاهم وبُـسْطُهُمُ حريـرٌ وصبحّهُمْ وبُـسْطُهُمُ تـرابٌ

أراد أنّ أعداء سيف الدولة كانوا في المساء سادة أعزّاء، وصـــاروا في الصباح بعد الفتك بهم فقراء أذلاّء، والكنايتان (بسطهم حرير) و(بـــسطهم تراب) كنايتان عن صفة الغنى ثم الفقر.

ومنها أيضاً قول الحماسي:

أبت الروادف والثديّ لقمصها مسَّ البطون وأن تمسَّ ظُهورا

وإذا الرياحُ مع العشيّ تناوحت نبهّنَ حاسدةً وهجن غيـــورا

إذ كنّى في البيت الأوّل عن صفات (نهود الثديين، وكـــبر الـــردفين، وضمور الخصرين) فأطلق منع الروداف والثديّ قمصها من أن تمسّ الظهر أو البطن لينتقل منه إلى المراد.

٢- الكناية عن موصوف:

وذلك إذا أريد التعبير عن موصوف ما، فلا يصرّح المتكلّم بذكر هـــذا الموصوف، ولكن يذكر صفات بينها وبين الموصوف ملازمة لاختصاصه بها، فأنت تفهم أنّ المكنّى عنه في قولـــه تعـــالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] هم النساء، وأنّ المكنّى عنه في حـــديث الرسول عليه الصلاة والسلام: (من يضمنْ لي ما بين لحيَيْهِ وما بين رجلَيْـــهِ أضمنْ له الجنّة) هما اللسان والفرج.

قال أبو نواس في الخمر:

فلما شـــربناها ودبّ دبيبُهـــا إلى موطن الأسرار قلتُ لها:قفي

مخافة أن يسطو عليّ شـــعاعهُا فيطلع ندماني على سرّيَّ الخفي

فكنّى بـــ (موطن الأسرار) عن موصوف وهو القلب لأنّـــه يتّـــصف بهـــذه الصفة.

وقال المتنبيّ:

ومَنْ في كفّـــه منـــهمْ قنـــاةٌ كَمَنْ في كفّه منهم خـــضابُ

فكنّى بالشطر الأوّل عن موصوف وهو الرجل، وبالشطر الثـــاني عـــن موصوف وهو المرأة، يريد أنّهم لهيبة سيف الدولة خُذلوا حتّى صار الرجـــل منهم كالمرأة.

٣- الكناية عن نسبة:

وهي تعبير يريد به المتكلم نسبة صفة إلى موصوف، فلا يصرّح بتلـــك النسبة بل ينسبها إلى ماله علاقة بالموصوف، كما تقول: (الجود بين بُردَيْـــه، والعفّة في بيتها) ناسباً الجود إلى البردين وليس تحتهما سواه، والعفّة إلى البيت وهي فيه.

وكما في قول الشاعر:

إنّ السماحة والمروءة والنـــدى في قبّة ضُربتْ على ابن الحشرج

فقد صرّح الشاعر في البيت بصفات (السماحة والمـــروءة والنـــدى) وبموصوف هو (ابن الحشرج) مريداً أن ينسب تلك الـــصفات إلى هـــــذا الموصوف وأن يجعلها من صفاته، لكنّه لم يلجأ إلى التصريح وإنّمـــا ســـلك

سبيل الكناية فنسب هـــذه الصفات إلى القبّة المضروبة على الموصوف (ابن الحشرج) وهي من أهمّ ما يتعلّق به.

ومن ذلك قول الشاعر:

فما جازه جودٌ ولا حلّ دونـــه ولكنْ يصيرُ الجودُ حيث يصيرُ

فهنا صفة وهي (الجود) وموصوف وهو (الممدوح)، أراد الـــشاعر أن ينسب الصفة إلى الموصوف فلم يصرّح بهـــذه النسبة وإنّما جعل الجود يصير حيث صار.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:

الـــــيُمْنُ يتبـــــعُ ظلَّـــــهُ والجـــود يمـــشي في ركابِـــهْ

فالصفة في الشطر الأول(اليُمن) نسبها الشاعر إلى ماله علاقة بالموصوف وهو (ظلّه)، والصفة في الشطر الثاني (الجود) نسبها الشاعر إلى ماله علاقـــة بالموصوف وهو(ركابه).

وللمتنبيّ في مدح كافور:

إنّ في ثوبك الذي المجـــدُ فيـــه لضياءً يزري بكـــل ضـــياءِ

أراد أن يثبت لكافور (المجد) فترك التصريح بهـــذا وأثبت المجـــد لمالـــه علاقة بكافور وهو الثوب.

يقول د. محمد علي سلطاني: ((وهـــذا -وأيمن الله- أسلوب بارع من أساليب الكناية غالباً ما يُستعمل في سوق معاني المديح، فيبدو الشاعر فيـــه حيادياً نزيهاً فيما يصف به ممدوحه، فهو لا يصرّح بنسبة المدح إلى ممدوحه

مباشرة بل يظهر وكأنّه يقف من بعيد ليقوم بوصف ما يراه ليس غير..... إنّها لا تعدو وصف واقع يراه بأمّ العين إنّه الكناية عن نسبة)) [1].

بين الكناية والتعريض [2]:

يقال: عرضت لفلان أو بفلان ، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، وقد قرن البلاغيوّن الكناية بالتعريض، وذلك لأن الكناية تتشعب إلى أقسام، قال السكاكي: ((متى كانت الكناية عرضية كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لم تكن كذلك نُظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكني عنه متباعدة لتوسط لوازم كما في (كثير الرماد) وأشباهها كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد ، وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو (عريض القفا) كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، قال:

رمزت إلي مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها

وإن كانت لا مَعَ نوع الخفاء، كقول أبي تمّام:

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فإن في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف، كان إطلاق اسم الإيحاء والإشارة عليها مناسباً)) [3].

١- البلاغة العربية في فنونها: ص ١٢٩.

٢- انظر في هذا الموضوع كتاب شروح التلخيص ٤/ ٢٧٠- ٢٧٣.

٣- مفتاح العلوم: ١٩٤.

معنى ذلك أن الكناية تضمّ التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة، وكان ابن رشيق من أوائل الذين فصلوا بين الكناية والتعريض حينما جعلهما من أنواع الإشارة، قال وهو يتحدّث عن الإشارة: ((ومن أنواعها التعريض كقول كعب بن زهير لرسول الله عليه السلام:

في فتيةٍ من قريش قال قائلـــهم ببطن مكّة لّما أسلموا زولـــوا

فعرّض بعمر بن الخطاب وقيل بأبي بكر رضي الله عنهما وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم تعريض مدح....[1])).

والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهـــة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا الوضع الحقيقـــي ولا المجـــازي، وذلك مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧]، فقوله ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ما نراك إلا بشراً مثلنا ﴾ تعريض بأنّهم أحقّ بالنبوّة منـــه، وأن الله لـــو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها منهم.

ومن ذلك قول الشاعر:

بني عمّنا لا تذكروا الشعر بعد ما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

قصد تعريفهم بما كان جرى في ذلك الموضع من الظهور عليهم والقتل لأشرافهم فذكر الشعر وجعله تعريضاً أي لا تفخروا بعد تلك الواقعة.

١- العمدة: ص ٣٠٣.

من خصائص الكناية:

- تبرز الأمور المعنوية والصفات النفسيّة في صور حسيّة نابضة، فالبخل-مثلاً- أمر معنوي يعسر على النفس أن تدركه كاملاً إذا لم يظهر في صورة تتناولها الحواسّ حيّة مؤثّرة حيث تنهض بذلك الآية الكريمة مصوّرة البخل والتبذير معاً في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[الإسراء: ٢٩].

- تقدّم الحقائق مقرونة بدليلها وذلك أدعى إلى تصديقها وثباتها في النفس، فإذا قلت (فلان يتّصف بالكرم) ربمّا شككت في هذا، لكن إذا أتبعت ذلك بقولك: إنه كريم بدليل كثرة الرماد عنده، كان معنى ذلك أنّ الكناية (كثير الرماد) مقرونة بدليلها ممّا لا يمكن ردّه.

- تتيح التعبير عمّا يُكره أو يُستقبح عن طريقها كقولنا : (هند خرساء الأساور) كناية عن السمنة المفرطة، وكقول الشاعر:

فإن يكُ عبدُ اللهِ أخلى مكانَهُ فما كانَ وَقّافاً ولا طائشَ اليدِ

فكنّى بـ (أخلى مكانه) عن وفاته.

- تفيد المبالغة في الوصف لأن في التعبير بها من القوة والحسن ما ليس في اللفظ الموضوع للمعنى المكنّى عنه كقول عمر بن أبي ربيعة في وصف امرأة بطول الجيد:

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل أبوها وإمّا عبد شمسٍ وهاشم

فلم يذكر طول الجيد بلفظه الخاص به ولكنه عدل عنه، وكان في ذلك من المبالغة والجمال ما ليس في اللفظ الأصلي، لأنّ بعد مهوى القـــرط أدلّ على طولٍ أكثر، فكلّ بعيدة مهوى القرط طويلة الجيد، وليست كلّ طويلة الجيد بعيدة مهوى القرط إذا كان طول الجيد في عنقها يسيرا.

لهـــذه الخصائص وغيرها أجمع البلاغيّون وعلى رأسهم عبـــد القـــاهر الجرجاني على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح[1].

١- انظر- مثلاً - العمدة : ٢٢١.

تدريب محلول في بحث الكناية

س – عيّن موضع الكناية واذكر المراد منها ونوعها فيما يلي:

أ- ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب: ١٠].

ب- تمرّ بك الأبطـــال كلمـــى هزيمـــةً

ووجهك وضّـــاح وثغـــرك باســـمُ

ج- وتُضحي فتيتُ المسكِ فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطقْ عن تفـــضّلِ

د- أعـــززْ علـــيَّ بـــأن أراك رهينـــةً

في جـــوف أغـــبرَ قـــاتم الأســـدادِ

هـــ- إنّ الذي مـــلأ اللغـــاتِ محاســـناً

جعل الجمـــال وســـرّه في الـــضادِ

و- يبيت بمنجـــاة عـــن اللـــوم بيتُهـــا

إذا مـــا بيـــوتٌ بالملامـــة حلّـــتِ

الجواب:

أ- موضع الكناية (بلغت القلوب الحناجر) المراد منها الشدّة والكرب، وهي كناية عن صفة .

ب- موضع الكناية (وجهك وضاح وثغرك باسم) المراد الثقة بالنصر، وهي كناية عن صفة.

ج- موضع الكناية (نؤوم الضحى) المراد الترف ، وهي كناية عن صفة.

د- موضع الكناية (أغبر قاتم الأسداد) المراد القبر، وهي كناية عن موصوف.

هـ موضع الكناية (الضادّ) المراد اللغة العربية، وهي كناية عن موصوف.

و-موضع الكناية (يبيت بمنجاة عن اللوم بيتها) المراد أنّها عفيفة، نسب العفّة إلى ما يخصّ الممدوحة وهو البيت ، فهي كناية عن نسبة.

تدريب يُطلب حلُّهُ

س- عيّن موضع الكناية واذكر المراد منها ونوعها فيما يلي:

أ- ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر: ١٣].

ب- الضاربين بكلّ أبيض مِخْذَمِ
والطاعنين مجامعَ الأضغانِ

ج-فأتبعُتها أخرى فأحللتُ نصلَها
بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقدُ

د- ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ
هما الواهي الذي ثكل الشبابا

هـ-قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى
مشغوفة بمواطن الكتمان

و- طويل النجاد رفيع العماد
كثير الرماد إذا ماشتا

ز- وقف الهوى بي حيثُ أنتَ فليس لي
مُتَأخَّرٌ عنهُ ولا مُتَقَدَّمُ

ح- ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

ط- وما يك فيّ من عيب فإنّي
جبان الكلب مهزول الفصيل

علم البديع

البـــــديع

مـــقدّمـــة:

البديع في اللغة من بدع الشيء يبدعه وابتدعه بمعنى أنـــشأه وبـــدأه، والبديع الشيء الذي يكون أولاً، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كلّ شيء، وقد ورد في القرآن الكريم مرتين قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي خالقها ومبدعها ومخترعها لا عن مثال سابق[1].

ثم استخدم علماء البلاغة مصطلح البديع ومنهم الجاحظ الذي عنى به وجهاً من وجوه البلاغة عندما علق على قول الشاعر:

هم ساعد الدهر الذي يُتقّى بـــه وما خير كفّ لا تنوء بساعد

بقوله: (قوله هم ساعد الدهر إنّما هو مثل، وهـــذا الذي تسمّيه الرواة البديع)[2].

وكأنّ الجاحظ عنى بـــه، -كمـــا رأيـــت - الاســـتعارة في كلمـــة (ساعد الدهر).

ثمّ يرد المصطلح عند ابن المعتز فيجعل البديع خمسة أنواع: الاســـتعارة والتجنيس والمطابقة وردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها والمذهب الكلامي[3].

١- انظر لسان العرب مادة بدع.

٢- البيان والتبيين: ٤/٥٥-٥٦.

٣- البديع: ٢و٣.

ثم يجعله قدامة بن جعفر سبعة وعشرين، وهكـــذا حتّ يتجاوز عنـــد المتأخرين مئة وخمسين نوعاً، وعند تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة يُطلَـــق مصطلح البديع على واحد منها ليجعل البديع بعد ذلك علماً يـــضمّ بـــين جناحيه عدداً من الأنواع البلاغية التي تكسب الكلام زينته وحلّته[1].

وقبل الحديث عن موضوعات هـــذا العلم نحدّثك عن البديعيات.

١- انظر كتابنا (البلاغة عند المعتزلة) : ص ٣٤٩.

البـــــديعيات

نالت القصيدة التي نظمها كعب بن زهير في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والتي أوّلها:

بانت سعاد فقَلبي اليوم متبـــول متيمّ إثرها لم يُفْـــدَ مكبـــول

شهرة فائقة بين الناس عامة وأهل الأدب خاصـــة،فأخذوا يـــشرحونها وينظمون على منوالها ويستشهدون بأبياتها إعجاباً منهم بمعانيهـــا وإكبـــاراً لشخص الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثمّ صار مديح الرسول فنّاً خالصاً، وخاصة عند شعراء القرن الـــسابع الهجري وكان ممّن نبّه عليه وذكّر به البوصيري المتوفّى سنة ٦٩٤ هـــ وذلك في قصيدته التي مطلعها:

أمن تذكّر جيران بذي ســـلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ

وهي البردة التي عارضها أحمد شوقي بقصيدته (نهـــج الـــبردة) الـــتي مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

أقول: كانت بردة البوصيري فتحاً كبيراً في بـــاب المـــدائح النبويـــة أصبحت فيما بعد مثلاً يُحتذى ونهجاً يسلكه المادحون.

ونالت من الشهرة والذيوع والاهتمام ما نالت، وتهيّأ لها معارضـــون ومشطرّون ومربّعون ومخمّسون، والقصيدة كما ترى منظومـــة علـــى وزن البسيط وروي الميم المكسورة، فكان أن قلّدها كثير من أهل العلـــم والأدب

منهم علماء البلاغة، فهـــذا صفّي الدين الحلي المتوفّى ٧٥٠ هـــ ينظم على منوالها قصيدته التي مطلعها:

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلـــم
واقر السلام على عُرب بذي ســـلم

وهي المسمّاة الكافية البديعية في المدائح النبوية، يقول في تقديمه لها:

هي قصيدة (تجمع أشتات البديع وتتطرّز بمـــدح مجـــده الرفيـــع) [١] يقصد النبيّ عليه السلام.

وهـــذا ابن جابر الأندلسي المتوفى ٧٨٠ هـــ ينظم على منوالها قصيدته التي مطلعها:

بطيبة انزل ويمّ ســـيدّ الأمـــم وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم

وهي المسمّاة (الحلّة السيرا في مدح خير الورى)، يقول في تقديمه لهـــا: (فأنشأتُ في مدحه صلى الله عليه وسلم قصيدة وشّيْتُ بألقاب البديع بُردها وتوخّيتُ فيها من موارد الثناء ما يجد المؤمن على قلبه بَردها) [٢].

وهـــذا عز الدين الموصلي المتوفّى(٧٨٩هـــ) ينظم بديعيته التي مطلعها:

براعتي تستهلّ الدمع في العلـــم عبارةٌ عن نداء المفرد العلـــم

وهي المسمّاة (التوصّل بالبديع إلى التوسّل بالشفيع).

وكان من أمثلها وأبدعها قصيدة ابن حجّة الحموي المتوفّى (٨٣٧هـــ) التي مطلعها:

لي في ابتدا مدحكم ياعربَ ذي سلم براعةٌ تستهلّ الدمع في العَلَـــمِ

١- شرح الكافية البديعية : ص ٥٤.

٢- الحلة السيرا : ص ٢٥.

ثمّ شرحها وسماها خزانة الأدب وغاية الأرب، وهكذا فعل الكثيرون.

يتبين من هذا العرض السريع لأبرز البديعيات أن البديعيات منظومات تعليمية في البلاغة كمنظومة ابن مالك في النحو ومنظومة الخزرجي في العروض وغير ذلك، لكنّها إلى جانب ذلك قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام موشّاة بمصطلحات البديع، ويمكن تعريفها بأنّها: قصائد منظومة على البسيط ورويّ الميم المكسورة، في مدح النبي عليه الصلاة والسلام يتعاقب في كل بيت منها نوع من أنواع البديع غير الذي قبله، ويكون في البيت شاهد عليه، وقد يورّي الناظم باسم النوع البديعي في أثناء البيت[1].

١- انظر مقدمة تحقيق كتاب (الحلّة السيرافي مدح خير الورى) ص ٨.

عرفت قبل قليل أنّ مصطلح البديع أُطلق عند علماء البلاغة المتـــأخرين على أحد علوم البلاغة العربية، فهو ثالث علومها بعد علم المعـــاني وعلـــم البيان.

وقد قالوا في تعريفه : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[1].

والأنواع البلاغيّة التي تندرج تحت عنوان (علم البديع) قسمان: أحدهما يرجع إلى المعنى فيزيد المعنى حسناً -ولا يخلو بالتأكيد من تحـــسين اللفـــظ- لكنّ التصاقه بالمعنى أوضح وهو ما يطلق عليه البديع المعنوي أو المحـــسّنات المعنويّة.

والثاني يرجع إلى اللفظ فيزيده حسناً -أيضاً- ولا يخلو من تحسين المعنى لكنّه باللفظ ألصق فإذا غيرّت اللفظ زال المحسّن، وهو ما يطلق عليه البـــديع اللفظي أو المحسّنات اللفظية.

وسنذكر لك في هـــذا القسم من الكتاب -من أنواع البديع المعنوي: الطباق والمقابلة وحسن التعليل والتورية والمـــذهب الكلامـــي والمزاوجـــة والمشاكلة ومراعاة النظير والإرصاد وحسن الابتداء وحسن الانتهاء وحسن التخلّص والمبالغة والعكس وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح واللف والنشر.

وسنذكر لك من أنواع البديع اللفظي الجناس والسجع ورد العجـــز على الصدر ولزوم ما لا يلزم والموازبة والتشريع.

١- التلخيص: ص ٣٤٧.

وسبب هـــذا الاختيار دون غيره شهرة هـــذه الأنـــواع البلاغيـــة في كلام العرب وكثرة دورانها في لغتهم، وأحياناً طرافتها، ثمّ اختلاف العلمـــاء الذي قد يعتري أنواعاً أخرى منها من جهة دقّة التسمية وتفريع المصطلح إلى مصطلحات، فقد يجعلون المماثلة والمناسبة والموازنة من باب السجع ، وقـــد يجعلون لكلّ منها باباً، وقد يجعلونها واحدة وقد يفرّقون وهـــكذا[1].

١- انظر -إذا شئت- كيف فرّق ابن أبي الإصبع بين المناسبة والموازنة ص ٢٩٧ ثم بـــين الترشيح والتصدير ص ٢٣١ وبين التسهيم والترشيح ص ٢٦٣، من كتابـــه تحريـــر التحبير.

من موضوعات البديع المعنوي

- الطباق -

هو الجمع بين معنيين متضادين في العبارة، وهو كما قال الخليل ابن أحمد من قولك:

طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد[1].

وسمّاه ابن المعتز المطابقة[2] وجعله الفن الثالث من البديع بعد الاستعارة والتجنيس.

والجمع بين المتضادات مما يكسب الكلام حسناً ، قال الشاعر:

فالوجه مثل الصبح مبيضّ والفرع مثل الليل مسودُّ

ضدان لما استجمعا حسنا والضدّ يظهر حسنه الضدّ

وقد تنبه العلماء على أنّ تعريف الخليل للطباق يُفهم منه الموافقة فآثر بعضهم أن يطلق عليه مصطلح التضاد.

فهو يسمى الطباق أو التضاد أو التكافؤ أو المطابقة.

وهذا التضاد قد يكون بين الحروف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، إذطابق بين (اللام) في لهنّ و(على) في (عليهنّ)، وقد يكون بين الأفعال كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم : ٤٣-٤٤].

١- البديع: ص ٣٦.

٢- نفسه.

وقد يكون بين الأسماء كما في الحديث (اغتنم خمساً قبل خمس: فراغك قبل شغلك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك) انظر كيف طابق بين الفراغ والشغل ثم الصحة والسقم، ثم الغنى والفقر ثم الشباب والهرم ثم بين الحياة والموت.

أنواعه:

يأتي الطباق على نوعين:

الأول: طباق الإيجاب وهو غير المعتمد على النفي والإثبات ككل الأمثلة السابقة، ومنه قول البحتري يصف بركة المتوكل:

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها ... وريّق الغيث أحياناً يباكيها

إذ طابق بين يضاحكها ويباكيها، وقول الشاعر:

حتّام قلبي مشغول بذكركُمُ ... يهذي وقلبك مربوط بنسياني

لهفي عليها ولهفي من تذكّرها ... يدنو تذكّرها منّي وتنآني

إني لمنتظر أقصى الزمان بها ... إن كان أدناه لا يصفو لحرّان

إذ طابق بين ذكركم ونسياني ثم يدنو وتنآني ثم أقصى وأدنى .

الثاني: طباق السلب وهو المعتمد على نفي الكلمة وإثباتها في موضع آخر كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، إذا طابق بين (يعلمون) الأولى وهي مثبتةُ و(لا يعلمون) الثانية وهي منفيّة.

ومنه قول الشاعر:

عاذلي في المدام غير نصيح ... لا تلمني على شقيقة روحي

لا تلمني على التي فتنتني ... وأرتني القبيح غير قبيح

إنّ بذلي لها لبذل جواد ... واقتنائي لها اقتناء شحيح

فقد وقع طباق السلب بين (القبيح) و(غير قبيح).

الملحقات بالطباق:

يلحق بالطباق ثلاثة أمور:

الأول - طباق التدبيج:

وهو الواقع بين الألوان كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧]، إذ وقع بين (بيض) و(حمر).

قال أبو تمام:

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليل إلاّ وهي من سندس خضر

الثاني- الطباق الخفي:

وذلك عندما تكون الضدّية في الصورة غير ظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالرحمة وإن لم تكن ضدّ الشدّة إلاّ أنّها ناتجة عن اللين الذي هو ضدّ الشدّة.

وكـــذا في قوله تعـــالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١]، فالنجاة ليست ضدّ النار لكن حينما تسبّبت عن الجنة والجنة ضد النار عُدَّت من الطباق الخفي.

الثالث- إيهام التضاد:

وذلك عندما تكون الضدّية متوهّمة كما في قول دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلم مـــن رجـــل ضحك المشيب برأسه فبكـــى

فقوله: (ضحك المشيب) معناه ظهر بكثرة وهو ليس عكس البكاء كما قد يُتوهم.

ويمكن أن يكون منه قول الشاعر:

أمّا القبـــور فإنّهـــا مأنوســـة بجوار قبرك والـــديار قبـــور

- المقابلة -

أن يأتي المتكلم بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثمّ بما يقابل ذلك موافقة أو تضادّاً فهي كالطباق لكنها أعمّ، وقيل إنها طباق متعدّد، فإذا علمت أن بين (الليل والنهار) طباقاً فاعلم أن بين سواد الليل وبياض النهار مقابلة، وإذا علمت أن بين (يريد) و(لا يريد) طباقاً سمّيناه قبل قليل طباق سلب وعلمت أن بين (اليسر) و(العسر) طباقاً أيضاً ففي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، مقابلة.

أنواع المقابلة:

ينظر ههنا إلى عدد المعاني المتقابلة، فقد يكون هذا التقابل بين معنيين ومثليهما كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

ومنه قول الشاعر:

فو اعجبا كيف اتفقنا فناصح وفيّ، ومطويّ على الغلّ غادر

فقد أتى بإزاء كل وصف من نفسه بما يضادّه على الحقيقة ممّن عاتبه، فالمعنى الأول ناصح قوبل بمن طوي على الغلّ، والمعنى الثاني(وفيّ) قوبل بـ(غادر).

وقد يكون التقابل بين ثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومنه قول الشاعر:

فلا الجود يُفني المال والجدّ مقبل ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

فقد جاء بإزاء الجود: البخل، وبإزاء يُفني: يبقي وبإزاء مقبل: مدبر، ومنه أيضاً قول الشاعر:

فإذا حاربوا أذلّوا عزيزاً وإذا سالموا أعزّوا ذليلا

وقد يكون بين أربعة وأربعة، وهو غاية ما استحسنه البلاغيون لبعده عن التكلف، يمثّله قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥- ١٠].

إذ قوبلت المعاني الأربعة الأولى التي تشتمل عليه الألفاظ (أعطى – اتقى- صدّق- اليسرى) بالمعاني الأربعة الثانية التي تشتمل عليها الألفاظ (بخل – استغنى- كذّب- العسرى) لأن في الاستغناء زهداً فيما عند الله فكأنه مستغن عنه فلم يتّقه، أو أنه استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنّة فلم يتق كما ذكر القزويني[1].

ومنه قول أبي تمام:

يا أمةً كان قبح الجور يسخطُها دهراً فأصبحَ حسنُ العدل يُرضيها

ومما زاد على الأربعة قول الشاعر:

بواطىء فوقَ خدِّ الصبح مشتهرٍ وطائرٍ تحت ذيلِ الليلِ مكتتمِ

فقابل خمسة بخمسة، والتكلفّ واضح ، ويبدو أوضح عندما تتمّ المقابلة بين ستة وستة كما في قول الإربلي:

على رأس عبد تاجُ عزّ يزينُهُ وفي رجل حرّ قيدُ ذلٍّ يشينُهُ

١- انظر تلخيص المفتاح : ص ٣٥٣.

- حسن التعليل -

أن يذكر المتكلم للحكم أو الأمر علّة غير العلّة الحقيقيّة له، علّة يكون بها من الطرافة ما يعكس نفسيّته تجاه الأمر، كأن يدّعي المحبّ علة للنوم غير العلّة التي فُطر عليها الجسد، فيزعم أنه يطلب النوم من أجل أن يرى في منامه مَنْ يحبّ، وقد فهمنا هـــذا من قول الشاعر:

وإنّي لأستغشي ومابي نعـــسةٌ لعلّ خيالاً منك يلقى خياليـــا

ومن هـــذا البديع قول المتنبي مادحاً بدر بن عمار:

إنّمـــا بـــدرٌ رزايـــا وعطايـــا ومنايـــا وطعـــانٌ وضـــراب

ما به قتـــلُ أعاديـــه ولكـــنْ يتّقي إخلاف ما ترجو الذئاب

يعني لا يقتل أعاديه ليستريح منهم فهو قد أَمِنَهُمْ لـــسيطرته علـــيهم، ولكنه عوّد الذئاب عادة من إطعامه إيّاها لحوم القتلى يكره أن يخلفهـــا مـــا عوّدها، ومنه أيضاً قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

إذ علّل بكاء الطفل عند ولادته بغير العلّة الطبيعيّة التي يعرفها النـــاس جميعاً فذكر أن ذلك البكاء ناتج عمّا يتوقعه الطفل مـــن مـــصائب الـــدنيا وويلاتها، ولا شك أن هـــذا التعليل - بما فيه من الطرافة- يعكس نفسية ابن الرومي القائمة على كثير من التشاؤم والحزن.

ومن اللطيف في هـــذا الباب قول أبي تمام:

رباً شفعت ريحُ الصَّبا بنسيمها إلى الغيث حتى جادها وهو هامع

كأنّ السحاب الغرّ غيّبنَ تحتها حبيباً فما ترقـــا لهـــنّ مـــدامع

انظره كيف تلطّف لمعناه، إذ جعل مطر السحاب على هـــــذه الربـــا بمنزلة البكاء من ثاكل دفن محبوباً له، فهو دائم البكاء على قبره، فكأنّه جعل العلّة في دوام السقيا كون الحبيب تحت هـــذه الأرض المسقيّة[1].

١- انظر تحرير التحبير : ص ٣١١.

- التورية -

أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مراد، والثاني بعيد خفيّ هو المراد.

وفي اللغة مأخوذ من فعل ورّى الخبر بمعنى جعله وراءه وستره وأظهر غيره[1].

قال الزمخشري: ولا نرى باباً في البيان أدقّ ولا ألطف من هذا الباب[2]، لدلالته على حنكة المتكلم وذكائه واقتداره على الكلام، فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما خرج إلى بدر هو ومن معه: ممّن أنتم؟ فقال: من ماء، فهو عليه السلام لم يرد أن يُعلم السائل من أي قبيلة، لكنّ السائل فهم أنه من قبيلة ماء ، والرسول عليه السلام أراد معنى أبعد وهو أنه مخلوق من ماء إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٦].

والشرح من خلال التعريف الذي ذكرناه لك قبل قليل أن (ماء) لفظ له معنيان، الأول قريب ظاهر غير مراد وهو اسم القبيلة كما فهم السائل، والثاني بعيد خفي مراد وهو المادة التي خلق الله منها الناس كما أراد الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن هذا الباب قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ هذا؟ قال أبو بكر: هادٍ يهديني،

١- اللسان ورّى.

٢- انظر خزانة الأدب: ٣/ ١٨٦.

أراد: هادياً يهديني إلى الإسلام أو إلى الجنة وقد فهم السائل أنه الـــدليل في السفر.

ومنه شعراً قول الشاعر:

أصون أديم وجهي عن أنـــاس لقاء الموت عندهُمُ الأديـــبُ

وربّ الشعر عنـــدهُمُ بغـــيض ولو وافى بـــه لُهـــمُ حبيـــبُ

فورّى بـــ(حبيب) الذي هو عكس بغيض وهو المعنى القريـــب غـــير المراد، لكنه أراد الشاعر العباسي أبا تمام حبيب بن أوس الطائي وهو المعـــنى البعيد المراد .

ومنه أيضاً قول السراج الورّاق في رجل اسمه ضياء:

أمولانا ضـــياءَ الـــدين دُمْ لي وعشْ فبقاءُ مولانـــا بقـــائي

فلولا أنت ما أغنيـــتُ شـــيئاً وما يُغني السراجُ بِلا ضـــياء

فورّى بكلمتين هما السراج والضياء الواردتين في الآخر.

والتورية عند العرب ضربان مجردة ومرشحة كما ذكر القزويني[1].

فالمجردة: هي التي لم يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به أو المورّى عنه مثاله قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥]، فالاستواء له معنيان، الأول الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به وهو غـــير مـــراد، والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد.

١- التلخيص: ص ٣٦٠.

ومنه قول الشاعر:

كأنّ نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعاً من الحُلل

أو الغزالةُ من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدي والحمل

وقعت التورية هنا في (الغزالة) و (الجدي) و(الحمل).

والمرشحة: هي التي يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به أو المورى عنه نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فإن المراد بالأيـــدي المعنى البعيد وهو القدرة وقد قُرن بها ما يلائم أو يلازم المعنى القريب (المورّى به) وهو الجارحة المخصوصة (اليد) وهو قوله (بنيناها).

ومنها قول البحتري:

ووراء تسدية الوشـــاح مليّـــة بالحسن تملح في القلوب وتعذب

فـــ(تملح) يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب المورّى به غير المراد، ويحتمل أن يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد ، وقد قُرن بها ما يلائم المعنى الأخير وهو قوله (مليّـــة بالحسن) [1].

١- ذكر المحدثون للتورية أنواعاً أخرى مثل التورية المُبيّنة والتورية المهيّأة.

- المذهب الكلامي -

وهو إيراد حجّة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، أو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجّة قاطعة من حجج علم الكلام، وقد سمّاه الجاحظ بهذا الاسم[1].

تقوم طريقته على أن يورد القائل حقيقة مسلّماً بها لدى السامع ليبني عليها المتكلّم حقيقة أخرى يريدها.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، أي لو كان في السماوات والأرض أكثر من إله لدبّ الفساد في نظام الكون بسبب تنازع الآلهة، لكنّ الفساد لم يدبّ، فالكون منظم تنظيماً لا نظير له ، تنظيماً ليس فيه خلل وهي الحقيقة المسلّم بها لدى السامع، ثم بُني عليها حقيقة أخرى يريدها المتكلم وهي وحدانية الله عز وجل.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج: ٥].

فالحقيقة الأولى خَلْقكم من تراب وهو أمر مسلّم به، والمبنيّ عليها حقيقة البعث فهو أسهل، ومنه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧].

١- البديع: ص ٥٣.

يقول النابغة معتذراً إلى النعمان:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء اللهِ للمرء مطلبُ

لئنْ كنتَ قد بلّغتَ عنّي خيانةً ... لمبلغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ

ولكنني كنتُ امرءاً لِيَ جانــبٌ ... من الأرض فيه مستَرادٌ ومذهبُ

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتُهم ... أُحكِّمُ في أمــوالهم وأقــرّبُ

كفعلِكَ في قومٍ أراك اصطفيتَهم ... فلم تَرهُم في مدحهم لك أذنبوا

يقول: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إليّ قوم فمدحتُهم، فكما أنّ مدح أولئك لا يعدّ ذنباً، فكذلك مدحي لمن أحــسن إليّ لا يُعــدُّ ذنباً.

- المزاوجة -

أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء بأن يرتّب على كلّ منهما معنىً رتُبّ على الآخر.

وهي في اللغة المزاوجة أو الازدواج، قال صاحب اللسان: ازدوج الكلام وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتّين تعلّق بالأخرى[1].

منها قول الشاعر:

إذا ما بدت فازداد منها جمالها نظرتُ لها فازداد منّي غرامُها

زاوج بين ظهورها مع النظر إليها في الشرط وازدياد الجمال مع ازدياد الغرام في الجواب.

ومنها أيضاً قول البحتري:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

زواج بين الاحتراب وتذكّر القربى في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما.

١- اللسان : زوج.

- المشاكلة -

هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، مثل قوله تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، سمّى العقوبة سيئة لتشاكل (سيئة) الأولى.

ومنه قوله تعالى: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قال الزمخشري: (صبغة) فعلة من صبغ كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله، لأنّ الإيمان يطهّر النفوس، والأصل فيه أنّ أهل الكتاب كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم ... فأُمر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان، وإنّما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة[1].

يريد الزمخشري أنّ (صبغة) أقيمت مقام التطهير لمشاكلة صبغة أهل الكتاب، ومن الشعر قوله:

قالوا اتخذ دهناً لقلبك يشفه ... قلت ادهنوه بخدّها المتوّرد

ذكر (ادهنوه) لمشاكلة (دهنا).

وكذا قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نُجدْ لك طبخَه ... قلتُ اطبخوا لي جُبّةً وقيمصا

١- الكشاف: ١/٩٧-٩٨.

- مراعاة النظير -

هو تناسب الألفاظ وائتلافها والتوفيق فيما بينها، أو هو أن يأتي الأديب بأمور متناسبة يحسن تجاورها ويصحّ توالي النظائر فيها، وقد يسمى المؤاخاة، اقرأ قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦]، تجد أنّهُ عندما قُدّم فعل الشراء روعيت الألفاظ التي تناظره وتأتلف معه وتناسبه، مثل الربح والتجارة، قال الزمخشري (لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويؤاخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته) [1].

قيل في مدح آل الرسول عليه الصلاة والسلام:

أنتم بنو طه ونونٍ والضحى وبنو تبارك في الكتاب المحكم

وبنو الأباطح والمشاعرِ والصفا والركنِ والبيتِ العتيق وزمزم

فأتى الشاعر في البيت الأوّل بحسن التناسب بين أسماء السور وفي البيت الثاني بحسن التناسب بين الجهات الحجازية.

قال ابن حجة الحموي: وغاية الغايات في هذا الباب قول بديع الزمان الهمذاني يصف طول السُّرى[2]:

لك الله من عزم أجوب جيوبه كأنّيَ في أجفان عين الردى كُحْلُ

١- الكشاف: ١/٣٧.

٢- خزانة الأدب: ٢/ ٣٣٧.

كأنّ السّرى ساقٍ كأنّ الكرى طِلى كأنّاله شَرْبٌ كأنّ المـــنى نَقْـــلُ
كأنّا جياعٌ والمطـــيّ لنـــا فـــمٌ كأنّ الفلا زادٌ كأنّ السّرى أكلُ
كأنّا على أرجوحةٍ في مـــسيرنا لغورٍ بنا تهوي ونجدٍ بنا تعلـــو

ومن شواهد هـــذا النوع المشهورة قول الشاعر:

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤ رطبٍ يصافحُهُ النسيمُ فيسقطُ
والطيرُ تقرأُ والغديرُ صـــحيفةٌ والريحُ تكتبُ والغمامُ يـــنقّطُ

- الإرصاد -

أن يدلك أول الكلام على آخره، فيوحي أول البيت بقافيته في الشعر ويرشدك إليها، وهي الكلام الذي يدل بعضه على بعضٍ فيأخذ بعضه برقاب بعض، والشعر الجيد أو أكثره مبنّي على هذا[1]، وقد قال الجاحظ خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صَدْره عرفت قافيته[2].

وقد يسمى التوشيح وقد يسمى أيضاً التسهيم، فمن يسمع قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

فإنّه لا يتوقع في القافية إلا كلمة واحدة وهي (يسأم) فقد دلته كلمة (سئمت) في الصدر على (يسأم) في القافية.

ومن يسمع قول البحتري:

أحلّت دمي من غير جرم وحرّمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فليس الذي حلّلته بمحلّل وليس الذي حرّمتهِ بحرام

لا يتوقع في قافية البيت الثاني إلا كلمة(بحرام) وهكذا، وهذا النوع كثير في كلام العرب.

ومنه - شعراً - قول من قال:

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

ومنه أيضاً:

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْهُ وجازوه إلى ما تستطيع

ومثاله من النثر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

١- انظر سر الفصاحة: ١٥٩.

٢- البيان والتبيين: ١/١١٦.

- حسن الابتداء -

أن يدلك المطلع على المعنى الذي سيق لأجله الكلام، وهو أيضاً حسن المطلع وقد يسمّى براعة الاستهلال، فإذا تأملت فواتح السور وجدتها توقظ السامعين للإصغاء إلى ما يرد بعدها.

وإذا سمعت أول بيت من بديعية البوصيري:

أمن تذكر جيران بذي سـلم مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدم

عرفت أن القصيدة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

وإذا سمعت أول بيت من قصيدة أبي تمام في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

أدركت أن المعنى الذي سيقت له القصيدة هو التحريض على الفتح وذكر مناقب العرب وانتصارهم ومدح الخليفة.

وللمتنبي في الحكمة:

الرأي قبل شـجاعة الـشجعان هو أول وهي المحـل الثـاني

هـذا ولابدّ من أن يكون لدى الشاعر قدرة على الابتـداء حـتى لا يستفتح بلفظ أو بكلام يُتطيرّ منه، وقد روي أنّ ذا الرّمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية، فلمّا ابتدأ وقال:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنّه من كُلى مفريّة سـربُ

قال هشام: بل عينك[1].

١- سر الفصاحة: ١٨٣.

- حسن الانتهاء -

أن ينتهي الأديب بنهاية مناسبة تطمئن المخاطب وتجعله لا يتوقّع بعدها أمراً ذا بال .

انظر كيف ختم أبو الطيب المتنبي قصيدته في مدح سيف الدولة وكان قد أمر له بفرس وجارية فقال:

فلا حطّت لك الهيجاءُ سـرجاً ولا ذاقتْ لك الـدنيا فراقـا

هـذه نهاية لا يتوقع السامع أو المتلقي ذكر شيء بعدها.

وانظر كيف ختم النابغة الذبياني إحدى اعتذارياته بقوله:

ها إن عذرة إلا تكن نفعـت فإن صاحبها مشارك النكـد

- حسن التخلص -

أن يحسن الأديب التخلّص من معنى إلى معنى أو من غرض إلى غـــرض من غير أن يشعر المخاطب بذلك شعوراً يقلقه أو ينبّهه على هـــذا الانتقال، وممّا يستحسن في ذلك قول البحتري:

شقائقُ يحملن النـــدى فكأنّـــه دموعُ التصابي في خدود الخرائد

كأنّ يد الفتح بن خاقان أرفلتْ تليها بتلك البارقات الرواعـــد

فقد وصف الروض ثمّ انتقل إلى مدح الفتح بن خاقان هـــذا الانتقال العذب.

ومنه قول ابن بابك:

لقد نشر النيروز وشياً على الربا من النَّور لم يظفر به كفّ راقمِ

كأنّ ابن عبّادٍ سقى المزن نشره فجاد برشّاش من الوبل ساجمِ

وانظر كيف انتقل المتنبي إلى مديح المغيث بن علي العجلي في القصيدة التي مطلعها:

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا لأهله وشفى أنّى ولا كربـــا

فأحسن التخلص كلّ الإحسان إذ قال[1]:

مرّتْ بنابَيْنَ تربيها فقلتُ لهـــا من أين جانس هـــذا الشادنُ العربا

فاستضحكتْ ثم قالتْ كالمغيث يُـــرى

ليثَ الشرى وهو من عجل إذا انتسبا

١- ديوان المتنبي: ١/ ١١٨.

- المبالغة -

أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، أو هي ادّعاء بلوغ وصف في الشدّة أو في الضعف حدّاً مستحيلاً أو بعيداً... والعلماء فيها ثلاثة:

فريق رافض لها لمجافاتها الصدق ناظراً إلى قول حسان بن ثابت:

وإنّما الشعر لبّ المرء يعرضه على المجالس إنْ كيساً وإنْ حمقا

وإنّ أشعر بيت أنت قائله بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا

وفريق يقبلها مطلقاً ناظراً إلى فكرة كانت سائدة لديهم وهي: أعذب الشعر أكذبه.

وفريق يقبل حَسَنها ، ناظراً إلى وقوعها في القرآن الكريم ويرفض ما يتّجه منها نحو الكذب والغلّو ناظراً إلى ورودها في الشعر شعر المدح والتكسب وما يدور في فلكه.

وجمهور العلماء ينضم تحت لواء الفريق الثالث.

من أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ [الحج: ٢].

فلو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملة، وإنّما خصّ المرضعة للمبالغة، لأنّ المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته

إليها، وأشفق به لقربه منها، ولزومها له لا يفارقها ليلاً ولا نهـــاراً وعلـــى حسب القرب تكون المحبة والألفة[1].

والمبالغة ثلاثة أنواع: (تبليغ وإغراق وغلو).

التبليغ: أن يكون المدّعى ممكنا عقلاً وعادة كقول امرىء القـــيس في وصف الفرس:

فعادى عداء بين ثور ونعجـــة دراكاً فلم ينضح بماء فَيُغْـــسَلِ

يقول: إن فرسه أدرك ثوراً وبقرة وحشيَّين في مضمار واحد و لم يعرق، وهـــذا الادّعاء كما يُرى ممكن عقلاً وممكن عادة.

ومنه قول ابن الرومي يذم بخيلاً:

لو أنّ قَصْرك يابنَ يوسفَ مُمْثَلٍ إبَراً يضيق بها فِنـــاء المـــترل

وأتاك يوسفُ يستعيرك إبـــرةً ليخيطَ قَدّ قميصِهِ لم تفعَـــلِ

الإغراق: أن يكون المدّعى ممكناً عقلاً و لم تجر العادة به، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونكرم جارنـــا مـــا دام فينـــا ونتبعه الكرامة حيث مـــا لا

ادّعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلاّ وهو يتبعه الكرم سواء أكـــان ذلك في قربه أم كان في بعده، وهـــذا ممكن عقلاً كما قلنا لك لكن عـــادة الناس ألا يفعلوا ذلك.

١- الصناعتين: ٤٠٣.

ومنه قول المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

الغلو: أن يكون المدعى غير ممكن لا في العقل ولا في العادة، كقول أبي نواس في مدح الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتّى إنّه لتخافك النطف التي لم تخلقِ

فلا العقل يقبل مثل هذه الإخافة ولا العادة جارية بها.

ومن الغلّو قول النابغة الذبياني:

أليس عجيباً بأنّ امرءاً شديد الجدال دقيق الكلم

يموت وما علمتْ نفسُهُ سوى علمه أنّه ما علم

قال القزويني[1]:

المقبول من الغلّو ما أُدخل عليه ما يقرّبه إلى الصحّة نحو (يكاد) في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[النور: ٣٥].

١- التلخيص: ٣٧٣.

- اللف والنشر -

هو ذكر متعدّد على التفصيل أو الإجمال، ثمّ ما لكلّ واحد من غير تعيين، ثقة بأنّ السامع يردّه إليه[1].

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسكون في تسكنوا راجع إلى الليل والابتغاء من فضل الله راجع إلى النهار.

وهذا اللون البديعي نوعان مرتّب وغير مرتّب.

فالمرتب: أن يكون الأوّل من المتعدّد في النشر عائداً إلى الأوّل من المتعدّد من اللفّ، والثاني للثاني، كما في قول الشاعر:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

فيها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأخريات رجوم

أرجع معالم الهدى للآراء، و المصابح للوجوه، والرجوم للسيوف.

ومنه قول الشاعر:

رأى جسدي والدمع والقلب والحشا ... فأضنى وأفنى واستمال وتيمّا

وغير المرتب: أن يجيء النشر فيه على غير ترتيب اللفّ، كما في قول الشاعر:

كيف أسلو وأنت حِقْفٌ وغُصْنٌ ... وغزالٌ لحظاً وقدّاً وردفا

أرجع اللحظ للغزال، والقدّ للغصن، وأرجع الردف للحقف و لم يرتّب.

١- التلخيص: ٣٦١.

- العكس والتبديل -

أن يُقَدَّمَ جزء من الكلام ثم يؤخّر، أو هو ردّ آخر الشيء على أوله ويكون في الألفاظ ويقع على ثلاثة وجوه:

الأول: أن يكون بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه مثل قولهم(جار الدار أحقّ بدار الجار) و(خير المقال مقال الخير).

الثاني: أن يقع بين متعلّقي فعلين في جملتين كما في قول الحماسي:

فردّ شعورهن السود بيضاً وردّ وجوههنّ البيض سودا

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ [آل عمران: ٢٧]

الثالث: أن يقع بين لفظين في طرفي جملة كما في قول الشاعر في وصف الليالي:

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهنّ مع السرور قصار

وقول أبي الطيب:

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده

ويكون في المعاني فيقع على وجهين:

الأول: أن يعكس الشاعر المعنى لنفسه مثل قول الشاعر:

كان مثل البستان آخذ منه صار مثل الحِمام يأخذ منّي

وقول الآخر:

وكان يعرض عنّي حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني

والثاني: أن يعكس الشاعر معاني غيره:

كما في قول من قال:

وربّما فات بعض الناس أمرهم مع التأنّي وكان الحزم لو عجلوا

بعدما قال سابقه:

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

- تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه -

أولاً : تأكيد المدح بما يشبه الذم: أن تمدح ثم تأتي بأداة استثناء فيتوهمّ المخاطب أنك ستلجأ إلى الذم، فيفاجأ بتأكيد ذ لك المدح كما تقول: زيد رجل كريم غير أنّه شجاع مقدام، ومن هـــذا قول الرسول عليه السلام (أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش) قال النابغة الذبياني:

فتى كملت أخلاقه غـــير أنّـــه جواد فما يبقي من المال باقيا

وقال ابن الرومي:

ومـــا تعتريهـــا آفـــة بـــشرية من النـــوم إلا أنّهـــا تُـــتَخيرّ

كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنـــام تغيّـــر

ثانياً : تأكيد الذم بما يشبه المدح: أن تذّم ثم تأتي بأداة استثناء فيتـــوّهم المخاطب أنك ستلجأ إلى المدح فيفاجأ بتأكيد ذلك الذم، كما تقول: زيـــد فظّ غليظ لكنه جبان ، من هـــذا قول الشاعر:

فإنّ من لا مني لا خير فيه سوى وصفي له بأخسّ الناس كلّهمِ

وقوله:

لئـــيم الطبـــاع ســـوى أنّـــه جبان يهـــون عليـــه الهـــوان

من موضوعات البديع اللفظي

ـ الجناس ـ

الجناس أن تتشابه الكلمتان لفظاً وتختلفا معنى[1]، فإذا كان التشابه في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها فهو جناس تامّ، وإذا اختلّ واحدٌ من تلك فهو جناس غير تام.

تأملّ قول الشاعر:

حـــدق الآجـــال آجـــالُ والهـــوى للمـــرء قتّـــالُ

تجد أنّه جانس بين آجال الأولى وآجال الثانية، فالكلمتان متـــشابهتان لفظاً لكنّهما مختلفتان معنىً، لأنّ آجال الأولى جمع إجل (بكسر الهمزة) وهو القطيع من بقر الوحش، وآجال الثانية جمع أجل وهو منتهى العمر، ولّما كان التشابه في أنواع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها سمّي جناساً تامّـــاً، ولا ينظر عادة إلى حركة الحرف الأخير لأنّه موضع تغيير حسب الإعراب.

وتأمل أيضاً قول الشاعر راثياً:

فيالك من حزم وعزم طواهمـــا جديد الردى بين الصفا والصفائح

تجد أنّه جانس بين(حزم) و(عزم)، فقد تشابهت الكلمتـــان لفظـــاً إلاّ الحرف الأول فقد جاء في (حزم) حاءً وفي (عزم) عينـــاً، أيْ أنّ الكلمـــتين اختلفتا في أنواع الحروف، ولّما كان التشابه في عـــدد الحـــروف وهيئاتهـــا وترتيبها دون أنواعها سمّي جناساً غير تامّ.

١- التلخيص: ٣٨٨.

وكل من الجناس التامّ وغير التام على أقسام:

أقسام الجناس التامّ :

أ- الجناس المماثل:

وهو ما تماثل ركناه فكانا مثلاً اسمين كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣- ٤٤].

فالجناس بين (الأبصار) الأولى وهي حاسّة الرؤية و(الأبصار) الثانية وهي العلم والإدراك وكلّ منهما اسم.

وكقول الشاعر:

فانعَ المغيرة للمغيرة إذ بدت شعواء مشعلة كنبح النابح

المغيرة الأولى المغيرة بن المهلّب والمغيرة الثانية الخيل المغيرة، وكلتاهما اسم.

أو كانا فعلين كقول الشاعر:

قوم لو انّهُمُ ارتاضوا لما قرضوا أو أنّهم شعروا بالنقص ما شعروا

شعروا الأولى فعل بمعنى أحسّوا، وشعروا الثانية فعل بمعنى نظموا الشعر.

أمّا كونُهما حرفين فهذا كما يقول الصفدي (لا يمكن تصوّره لأنّ الحروف معلومة الصيغ مضبوطة، فلا يتفق ورود كلمتين من الحروف قد تساوت حروفهما وصيغتاهما في الكلام العربي كما تقدّم في اتفاق الاسم والاسم والفعل والفعل)[1].

١- جنان الجناس ٢١، ذكرت بعض كتب البلاغة الحديثة أمثلة على تجانس الحرفين، لكنها لا ترقى لأن تكون شواهد.

ب- الجناس المستوفى:

وهو ما استوفى نوعين اثنين في ركني الجناس اسم وفعل أو فعل وحرف أو حرف واسم، وقد يسمّى المستوفي بصيغة اسم الفاعل، وأمثلته كثيرة منها قول الشاعر:

دَهْرُنـــا أمـــسى ضـــنينا باللقـــا حَتّـــى ضـــنينا

يـــا ليـــالي الوصـــلِ عـــودي واجمعينـــــا أجمعينـــــا

فجانس بين (ضنينا) وهي اسم بمعنى بخيل و(ضنينا) وهي فعل بمعـــنى تعبنا وشقينا، ثم جانس بين (اجمعينا) وهو فعل أمر و(أجمعينا) وهو اسم.

ومنها أيضاً قول الشاعر:

ولو أنّ وصلاً علّلـــوه بقربـــه لما أنّ من حمل الصبابة والجوى

جانس بين (أنّ) وهي حرف مشبّه بالفعل و(أنّ) وهي فعل من الأنين.

ج- الجناس المركّب:

وهو ما كان أحد ركنيه أو كلاهما مركّباً من أكثر من كلمة كقـــول الشاعر:

إذا ملـــك لم يكـــن ذاهبَـــهْ فدعْـــهُ فدولتُـــهُ ذاهبَـــهْ

جانس بين (ذاهبه) الأولى وهي مركّبة من (ذا) بمعنى صاحب و(هبـــه) بمعنى العطاء، و(ذاهبه) الثانية وهي كلمة واحدة.

ومنه قول صفي الدين الحلي:

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلـــم

واقر السلام على عُرب بذي ســـلم

(سلعاً) الأولى اسم موضع و(سل عن) الثانية مركّبة من فعل (ســـل) و(عن) حرف جر.

أقسام الجناس غير التام:

أ-الجناس المصحّف:

إذا كان الاختلاف في أنواع الحروف سمّي مـــصحّفاً كمـــا في قـــول الرسول عليه الصلاة والسلام : (قصرّ من ثيابك فإنّه أبقى وأنقى وأتقـــى) فالحرف في الكلمة الأولى باء وفي الثانية نون وفي الثالثة تاء.

ومن هـــذا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤]، الجناس بين يحسبون ويحسنون

ب- الجناس الناقص:

إذا كان الاختلاف في عدد الحروف سمّي ناقصاً كما في قوله تعـــالى: ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾ [القيامة:٢٩-٣٠]، فالجناس بين الساق والمساق ناقص لاختلاف عدد الحروف، ومن هـــذا النـــوع قـــول الشاعر:

إن تـــر الـــدنيا أغـــارت ونجـــوم الـــسعد غـــارت

فـــصروف الـــدهر شـــتّى كلمّـــا جـــارت أجـــارت

ج- الجناس المحرف:

إذا كان الاختلاف في هيئات الحروف أي في حركاتها فهو محرّف كما في قول الشاعر:

هلاّ نَهاك نُهاك عن لوم امرىء لم يُلف غير مـنعّم بـشقاء

فالجناس بين نَهاك بفتح النون ونُهاك بضمّها جناس محرّف.

ومنه قوله تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات: ٧٣].

د- الجناس المقلوب:

وإذا كان الاختلاف في ترتيب الحروف فهو جناس مقلوب.

كما في قول عبد الله بن رواحة يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

تحمله الناقةُ الأدمـاءُ معتجـراً بالبُرْدِ كالبدر جلّى نورُه الظلما

جانس بين البرد والبدر.

وقول الشاعر:

رقّـتْ شمائـل قـاتلي فلـذاك روحـي لا تقـرّ

رد الحبيـب جوابـه فكأنّـه في اللفـظ درّ

جانس بين رقت وتقرّ ثمّ بين ردّ ودرّ.

هـذا ومن تسمية الجناس بالأسماء المختلفة التي ذكرناها لـك قبـلُ اختلاف بين العلماء، فمنهم مَنْ يسمي التامّ كاملاً ومنـهم مـن يـسمّيه

مستوفياً، ومنهم من يسمي المحرّف مضارعاً وتارة لاحقاً وهي مجرد اختلافات في التسميات انظر فيها كتاب (جنان الجناس)[1].

وإذا عرفت أن الجناس من البديع اللفظي فإنّنا نذكرّك بأهمّية المعنى الذي سيقت فيها الكلمتان المجانس بينهما، يقول عبد القاهر الجرجاني:

(فإنّك لا تجد تجنيساً مقبولاً حتّى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حولاً)[2]، ولأمر ما عاب النقاد قول البهروي في طاهر بن الحسين[3]:

ولو رأى هرم معشار نائله لقيل في هرمٍ قد جُنّ أو هرما

والآن ما رأيك في قول بعض العلماء: الدنيا دار مفرّ وليست دار مقرّ، فلا تغترّ فيها بأمل فإنّما تفتر لك عن ألم، فهي إذا حلت أوحلت، وإذا رمت أو رمت، وإذا أقبلت بلت، وإذا صبت أوصبت، وهذه القبور تُبنى ولكنّنا ما تُبنا، فأدم النظر وكن على حذر، واعلم أنّ خير المعاني ما يحبّب إليك المعالي ويبعدك عن المعاصي.

١- ص ٢٠ و ٢١ وما بعدهما.

٢- أسرار البلاغة: ص ٧.

٣- البديع: ص ٣٤ — ٣٥.

السجع

هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر.

وهو على ثلاثة أنواع: مطرّف ومرّصع ومتواز:

السجع المطرّف:

وهو أن تتّفق الفقرتان بالرويّ وتختلفا في الوزن نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣- ١٤]، ومنه قولهم: مَنْ حَسُنَ حالُه استُحسن محالُه.

السجع المرصّع:

وهو أن تتّفق الفقرتان وزناً ورويّاً، سمّي بذلك تشبيهاً بجعل إحدى اللؤلؤتين في العقد في مقابلة الأخرى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤]، فقد قوبلت (إنّ) بـ(إن) و(الأبرار)بـ (الفجار) و(لفي) بـ (لفي) و(نعيم) بـ(جحيم).

ومنه في الشعر قول الخنساء في أخيها:

حمّال ألوية هبّاط أودية شهّاد أندية للجيش جرّار

السجع المتوازي:

وهو أن تتّفق الكلمة الأخيرة في الفقرتين وزناً ورويّاً كما في قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية ١٣- ١٤].

ومنه في الشعر قوله:

حُرّ الإهاب وسيمُهُ، بَرّ الإياب كريمُهُ، محضُ النصاب صميمُهُ.

شروط حسن السجع:

أ- أن تكون كل واحدة من الفقرتين مؤلفة من ألفاظ قليلة كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٩- ١١].

وكما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا).

ب- أن تتحلّى المفردات بالرشاقة والأناة وروعة الجرس.

ج-أن تنقاد الألفاظ للمعاني لا المعاني للألفاظ.

د-أن تكون المعاني الحاصلة عن التركيب مألوفة غير مستنكرة.

هـ- أن تكون الفقر سواكن الأعجاز، فكيف يتحقّق السجع في قولهم: (ما أبعد ما فاتْ، وما أقرب ما هو آتْ).

إن حركت (فاتَ) بالفتح ثم حركت (آتٍ) بتنوين الكسر؟! وكذا في قول الرسول عليه الصلاة والسلام:(يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام).

ردّ العجز على الصدر

لرد الأعجاز على الصدور موقع جليل من البلاغة كما يقول أبو هلال العسكري[1].

والعجز كما تعلم الشطر الثاني من البيت، والصدر الشطر الأول، ورد العجز على الصدر معناه أن يأتي الشاعر بكلمة في صدر البيت متقدمة أو متأخّرة، ثم يأتي بها بلفظها ومعناها أو بما يُصرّف من لفظها في عجزه، وهذا يخرجه عن دائرة الجناس.

فمن أمثلته في النثر قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، فإنّ (غفّاراً) و(استغفروا) من جذر لغوي واحد.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وأمثلته في الشعر كثيرة وأحسنها ما كانت اللفظة افتتاحاً للبيت وكانت الأخرى ختاماً له كقول الشاعر:

تمنّت سليمى أن نموت صبابة وأهون شيء عندنا ما تمنّت

فقد ردّت كلمة (تمنّت) في العجز على (تمنّت) في الصدر. وكقول الشاعر:

مفيد إن تزره وأنت مقوٍ تكن من فضل نعمته مُفيدا

١- الصناعتين: ٤٢٩.

وقد لا تكون اللفظة الأولى افتتاحاً للبيت كما في قول الصمّة القشيري:

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

وقول امرئ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزّان

بل قد تكون اللفظة الأولى في أول العجز لا في الصدر كما في قول من قال:

أمّلتُهم ثمّ تأمّلتُهمْ فلاح لي أنْ ليس فيهم فلاحْ

لـــزوم مـــا لا يلـــزم

ويسمّى الإعنات والالتزام، وهو أن يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه إبانة عن اقتداره وتوسعّه، كما في قول الحطيئة:

ألا من لقلبٍ عارم النظـــرات يقطّع طول الليل بـــالزفزات

إذا ما الثريّا آخر الليل أعنقت كواكبُها كالجزع منحدرات

فالتاء روي والألف ردف، ولكن الشاعر التزم إلى جانب ذلك حرف الراء.

وكما في قول أبي العلاء المعرّي:

ضحكنا وكان الضحك منّا سفاهة وحقّ لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمّنا صـــرف الزمـــان كأنّنـــا زجاج ولكن لا يعاد لنا ســـبكُ

فقد التزم الباء إلى جانب الرويّ، وله كما تعلم ديوان (اللزوميات).

ومنه ما جاء في تائية كثيّر المشهورة:

خليليّ هـــذا ربع عزّة فاعقلا قلوصيكما ثم احللا حيث حلّتِ

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكا ولا موجعاتِ القلب حتى تولّتِ

هنيئاً مريئـــاً غـــير داء مخـــامر لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّتِ

فما أنا بالداعي لعزّة بـــالجوى ولا شامتٌ إن نعلُ عزّة زلّتِ

وقد يكون هـــذا الالتزام بأكثر من حرف قبل الروي كما في قول أبي نواس:

وأَمَا وزَنْـــد أبي علـــيّ إنّـــه زنَدْ إذا استوريت سهلٌ قد حكا

إنّي لتأبى الصنع عـــالي همّـــتي من غيركم وتعافُ إلا مَدْ حكا

وعُدّ من فنّ الالتزام مثل قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٢- ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١-٢].

المواربـــــــــة

أصلها من الإرب وهو المكر والخديعة والدهاء، فحوّلت الهمـــزة واواً، وقيل من الأرب بمعنى الحاجة[1]، وهي أن يقول الشاعر في مديح أو هجاء أو وصف، فإن أنكر عليه المديح بعض أعداء الممدوح ممن يخافه أو عثر عليـــه المهجوّ غيرّ المعنى بلفظه إلى ما يتخلص بـــه أو زاد أو نقـــص كمـــا قـــال التبريزي[2].

أي: أنها قائمة على تحريف أو تصحيف أو حذف ، والغـــرض منـــها التخلص من اللوم أو الإحراج. من أمثلتها قول عتبان الحروري الشيباني:

فإن يك منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيبُ

فمنا حصين والبطين وقعنـــب ومنا أمير المـــؤمنين شـــبيبُ

فلما ظفر به هشام قال: أنت القائل : ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ؟ قال: يا أمير المؤمنين إنّما قلت: ومنّا أميرَ المؤمنين شبيبُ، ففتح الراء علـــى النـــداء وتخلّص من اللوم.

وقول أبي نواس في خالصة جارية الرشيد يهجوها:

لقد ضاع شعري على بـــابكم كما ضاع عقد على خالصه

وبعد مالامه الرشيد وأنكر عليه قال: لقد قلت: لقد ضاء شـــعري.... كما ضاء عقد.....

١- اللسان: أرب.

٢- الوافي في العروض والقوافي: ص ٣٠٠.

التشريع

وهو بناء الشعر على وزنين أو أكثر وقافتين أو أكثر، كما في قول الشاعر:

يرنو بطرف فاتر مهما رنا فهو المنى لا أنتهي عن حبّه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى يشفي الضنى لا صبر لي عن قربه
لو كان يوماً زائري زال العنا يحلو لنا في الحبّ أن نُسمى به

فالأبيات كما ترى من الرجز التام، وقافيتها مبنيّة على روي الباء المكسورة الموصولة بالهاء ، فهذا الوزن الأول له وتلك القافية الأولى.

لكن يمكن أن تكون الأبيات ذاتها من الرجز المجزوء (وهو وزن ثان) وقافيتها مبنيّة على روي النون المفتوحة الموصولة(وهي قافية ثانية) كما يلي:

يرنو بطرف فاتر مهما رنا فهو المنى
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى يشفي الضنى
لو كان يوماً زائري زال العنا يحلو لنا

ويمكن أن تحوّل إلى الرجز المشطور (وهو وزن ثالث) وقافية النون المفتوحة الموصولة أيضاً، وهي غير ما جاء في المجزوء كما يلي:

يرنو بطرف فاتر مهما رنا
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى
لوكان يوماً زائري زال العنا

ويمكن أن يحوّل إلى الرجز المنهوك (وهو وزن رابع) وتحوّل قافيتـــه إلى روي الراء المكسورة كما يلي:

يرنو بطر ف فاترِ

يهفو بغصـــ ن ناضرِ

لو كان يو ماً زائري

ولا يخفى عليك ما في الأبيات من تصنّع وتكلّف أســـدلهما عليهمـــا هـــذا الفنّ، ومنه قول الحريري:

يا خاطب الدنيا الدنيّـــة إنّهـــا شَرَك الردى، وقرارة الأكدار

دارٌ متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا، بعداً لها مـــن دار

غاراتها لا تنقـــضي وأســـيرها لا يُفتدى، بجلائل الأخطـــار

تـــدريب محلـــول

دلّ على البديع في الأمثلة التالية وبيّن نوعه:

١- قال الشاعر في وصف الإبل الهزيلة:

كالقـــسيّ المعطّفـــات بـــل الأســـهم مبريّـــة بـــل الأوتـــار

راعى الشاعر حسن تجاور الكلمات فشبّه الإبل بأشياء متناسبة و هـــي القسيّ والأسهم والأوتار وهـــذا ما يسمّى مراعاة النظير.

٢- إلى حتفي ســعى قــدمي أرى قـــدمي أراق دمـــي

بين (أرى قدمي) و(أراق دمي) تشابه باللفظ واختلاف في المعنى وهو من الجناس التامّ (التركيبي).

٣- قال الشاعر في وصف الإبل:

صلبُ العصا بالضرب قد أدماها تـــودّ أنّ الله قـــد أفناهـــا

كلمة (الضرب) فيها تورية فمعناها القريب الضرب بالعصا وهو غـــير مراد، ومعناها البعيد السير في الأرض وهو المراد.

٤- من الحديث الشريف:

(اللهم أعط منفقاً خلفا، وأعط ممسكاً تلفا).

جاءت الفقرة الثانية مثل الأولى في الوزن والتفقية فهو سجع مرصّع

٥- ولاعيب فيهم غير أنّ ذوي النـــدى

خِـــساس إذا قيـــسوا بهـــم ولئـــام

مدح الشاعر القوم ثم استثنى، فظننّا أنه سيعيبهم بشيء لكنّـــه أكّـــد مدحهم بعد الاستثناء، وهو ما يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم.

٦- زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير فعل الخير خسران

جمع بين المتضادات فذكر (زيادة) مع (نقصان) وذكر(ربح) مع (خسران) وهو من طباق الإيجاب.

٧- ما زلزلت مصر من كيد ألمّ بها

لكنّها رقصت من عدلكم طربا

جعل الشاعر علة زلزال مصر طرباً من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها، وهو من حسن التعليل.

٨-قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ جمع بين فعلين دلاّ على التضادّ من خلال إثبات أحدهما ونفي الآخر وهو من طباق السلب.

٩- من الحديث الشريف: إن الله لا يملّ حتّى تملّوا.

أي: (تملّوا) من مسألته ودعائه، فذكر(لا يملّ) على سبيل المشاكلة ومعناها لا يقطع عنكم فضله ونعمه.

قال الشاعر يصف الفرس:

ويكاد يخرج سرعة من ظلّه لو كان يرغب في فراق رفيق

ذكر سرعته الزائدة عن الحدّ، وجعل فرسه يخرج من ظلّه أو يكاد، وهذا من المبالغة، ولّما كان هذا ممتنعاً عقلاً وعادة سمّي غلوّاً.

١١- قال السراج الوّراق:

يا خجلتي وصحائفي مسوّدة وصحائف الأبرار في إشراق

ومؤنّب لي في القيامة قال لي أكذا تكون صحائف الوّراق

في قوله (الوّراق) تورية، فهو يحمل معنيين الأول أنّه من الوِراقة أي: بيع الورق (المهنة المعروفة) وهو معنى قريب غير مراد، والثاني أنّه اسم الشاعر وهو معنى بعيد كما ترى وهو المراد.

تـــدريبـــــــــات

ألق الضوء على جوانب البديع المعنوي في الأمثلة التالية:

أ- على أنني راض بأن أحمـــل الهـــوى

وأخلـــص منـــه لا علـــيَّ لا ليـــا

ب- أين التباكي والتضاحك في وقت معاً والحزن والطرب

ج- ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٧٣].

د- قال الحسن رضي الله عنه وقد أنكر عليه الإفراط في تخويف الناس: إنّ من خوّفك حتى تبلغ الأمن خير ممّن آمنك حتى تبلغ الخوف.

* * *

أ-ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ب-﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[الإسراء : ٥٧].

ج- ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

د- لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

* * *

أ- قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصـــب

حمرتها من دماء مَـــنْ قتلـــت والدم في النصل شاهد عجب

* * *

أ- أيهـــا المعـــرض عنـــا حـــسبك الله تعـــالى

ب- وصاحب لمّا أتـــاه الغـــنى تاه ونفـــس المـــرء طمّاحـــه

وقيل هل أبصرت منه يـــداً تشكرها قلـــت ولا راحـــه

ج- أبيات شـــعرك كالقـــصو ـــر ولا قصور بهـــا يعـــوق

ومـــن العجائـــب لفظهـــا حـــرّ ومعناهـــا رقيـــق

* * *

أ- ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦].

ب- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨].

* * *

أ- ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦].

ب- ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ج- لأبي تمام:

من مبلغ أفناء يعـــرب كلّهـــا أني بنيت الجار قبـــل المـــترل

د- إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهـــوى

أصاخت إلى الواشي فلجّ بها الهجـــرُ

* * *

أ- أصحُّ وأقوى ما سمعناه في النـــدى
مـــن الخـــبر المـــأثور منـــذ قـــديم
أحاديث ترويها السيول عـــن الحيـــا
عن البحر عن كفّ الأمـــير تمـــيمِ

ب-من جلنار ناضـــر خـــدُّهُ وأذنُـــــهُ مـــــن ورق الآسِ

أ- لئن كنت محتاجاً إلى الحلـــم إنّـــني
إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ب- ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

* * *

أ- ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧].

ب-فكأنّما خمـــر ولا قـــدح وكأنّمـــا قـــدح ولا خمـــر

* * *

أ- ولا عيب فيهم غـــير أن ســـيوفهم
بهنّ فلول مـــن قـــراع الكتائـــب
ب- هو البدر إلا أنّه البحـــر زاخـــراً
سوى أنّه الـــضرغام لكنّـــه الوبـــل
ج- هو الكلـــب إلاّ أنّ فيـــه ملالـــة
وسوء مراعاة وما ذاك في الكلـــب

ألق الضوء على جوانب البديع اللفظي في الأمثلة التالية:

أ- وسميته يحيى ليحيا ولم يكن إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

ب-لسيف الدولة اتسقت أمور رأيناها مبدّدة النظام

سما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام

ج- لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها

وإذا عرضت الشعر غير مهذب عدّوه منك وساوساً تهذي بها

د- ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٩٤].

* * *

أ-إنّ بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا.

ب- فنحن في جذل والروم في وجل

والبّر في شغل والبحر في خجل

* * *

أ-واستبدّت مرّة واحدةً إنّما العاجز مَنْ لا يستبدّ

ب- فمن لم تبلّغه المعاليَ نفسُهُ فغير جدير أن ينال المعاليا

ج-إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجازوه إلى ما تستطيع

* * *

أ-يقولون في البستان للعين لذّة وفي الراح والماء الذي غير آسن

إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها ففي وجه من تهوى جميعُ المحاسن

ب-أرى الدنيا وما وعدتْ ببرّ إذا أغنت فقيراً أرهقتْهُ

إذا خُشيت لشرّ أعجلتْهُ وإن رُجيتْ لخير عوّقتْهُ

خـــــاتمة

وبعد فقد أطلعناك في كتابنا (البلاغة من منابعها) بقسميه الأول علـــم المعاني والثاني علم البيان وعلم البديع على أبرز قواعـــد البلاغـــة العربيـــة، وحاولنا أن نأخذ بيدك لتعرف فائدة هـــذا العلم ومكانته ليتكوّن عنـــدك قدرة على تمييز الكلام جيدّه من رديئه وغثّه من سمينه، ثم لتتحول هـــــذه القدرة إلى ملكة تستطيع من خلالها أن تؤلّف كلامك على هدي منها وبيّنة من أصولها.

واعلم أنّ القواعد التي عرفت كثيراً منها في هـــذا الكتـــاب لا تُـــؤتي أُكُلها إلاّ بكثرة التدريب وممارسة القراءة والتحليل، فهي تـــساعدك علـــى توخّي مواطن الجمال في الكلام العربيّ، الجمال في بنية الجملة وطريقة تأليفها من خلال علم المعاني، والجمال في قدرة الصورة الفنيّة على التأثير من خلال علم البيان، ثم الجمال المعتمد على المحسنات المعنوية والمحـــسنات اللفظيـــة، فالتحسين في ألوان البديع يبرز في النص ثلاث بُنى: البنية الصوتية كمـــا في الجناس والسجع، والبنية التركيبّية كما في مراعاة النظير والمطابقة، ثم البنيـــة الدلالية كالمشاكلة و التورية والمبالغة وغير ذلك.

واعلم أنّ مدار الحسن في الألوان البلاغية جميعـــاً هـــو مالـــه مـــن خصوصيّة في التأثير في المخاطب ولا سيّما التأثير النفسي، ثمّ صدور هـــذه الألوان عن متكلّم مطبوع في كلامه ولا تصنّع في أدائـــه، ممّـــا يـــؤدّي إلى الصدق الفنّي الذي ينبغي أن يسود علاقة المتكلم بالمخاطب، فـــإن الكـــلام البليغ وحده هو الذي يؤثّر في النفس ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾.

من مصادر الكتاب ومراجعه

- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - تح السيد محمد رشيد رضا- بيروت - دار المعرفة.

- الأسلوب الكنائي - محمود السيد شيخون- القاهرة- مكتبة الكلّيات الأزهرية - ط١ - ١٩٧٨.

- الإيضاح للقزويني - تح محمد عبد المنعم خفاجي — مصر- مكتبة الحسين التجارية - ط١ - ١٩٤٩.

- البديع لعبد الله بن المعتز - تح كراتشكوفسكي - دار الحكمة دمشق.

- البلاغة عند المعتزلة - د. محمد هيثم غرة- دمشق - دار الرؤية ٢٠٠٧.

- البلاغة فنونها وأفنانها - د. فضل حسن عباس - عمّان - دار الفرقان - ط١- ١٩٧٨.

- البيان والتبيين للجاحظ - تح د. عبد السلام هارون - دار الفكر - ط٤.

- تحرير التحبير لابن الإصبع المصري - تح د. حفني محمد شرف القاهرة - وزارة الأوقاف - ١٩٩٥.

- التلخيص للقزويني - شرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي - المكتبة التجارية - مصر.

- جنان الجناس للصفدي -بيروت- دار المدينة -ط١- ١٢٩٩ هـ .

- الحلّة السيرافي مدح خير الورى لابن جابر الأندلسي -تح د. علي أبو زيد - عالم الكتب - ط١ - ١٩٨٥.

- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجّة الحموي -تح د. كوكب دياب - بيروت - دار صادر- ط١ - ٢٠٠١.

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني -تح د. محمود شاكر- القاهرة - مطبعة المدني - ط٣- ١٩٩٢.

-سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي - بيروت - دار الكتب العلمية - ط١- ١٩٨٢.

- شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلّي - تح د. نسيب نشاوي - دمشق - مطبوعات المجمع - ١٩٨٢.

- شروح التلخيص للسبكي والمغربي والتفتازاني.

- الصناعتين لأبي هلال العسكري - تح د.مفيد قميمة - بيروت - دار الكتب العلمية - ط١- ١٩٨١.

- علم البيان- بدوي طبانة - بيروت -دار الثقافة-١٩٨١

-علوم البلاغة - أحمد مصطفى المراغي- بيروت - دار القلم.

- عيار الشعر لابن طباطبا- تح د. عبد العزيز المانع — الرياض- دار العلوم - ١٩٨٥.

- فن التشبيه - علي الجندي - مكتبة الأنجلو المصرية -ط٢- ١٩٦٦.

- فنون بلاغيّة - د.أحمد مطلوب- دار البحوث العلمية -ط١-١٩٧٥.

- الكشاف للزمخشري بيروت - دار المعرفة.

- لسان العرب لابن منظور.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة - تح فؤاد سركين -ط٢- ١٩٧٠.

- مفتاح العلوم للسكاكي - تح أ. نعيم زرزور- بيروت- دار الكتب العلمية - ١٩٨٣.

- النكت في إعجاز القرآن للرّماني (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز) -تح محمد خلف الله ود. محمد زغلول السلام- مصر- دار المعارف.

الفهـــــــرس

- المقدمة	٥
- بين الفصاحة والبلاغة	٧
- علم البيان	١٢
– التشبيه	٢١
أركان التشبيه	٢٤
التمثيل	٣٦
أنواع التشبيه	٣٨
أغراض التشبيه	٤٤
محاسن التشبيه	٤٨
تدريبات	٥٠
– الحقيقة والمجاز	٥٥
المجاز	٦١
المجاز العقلي	٦١
المجاز اللغوي	٦٥
تدريبات	٧٠
الاستعارة	٧٣
العلاقة	٧٨
القرينة	٨٠
أنواع الاستعارة	٨١
مكانة الاستعارة	٩٣
من خصائص الاستعارة	٩٤
تدريبات	٩٦
– الكناية	٩٩
أنواع الكناية	١٠٢
بين الكناية والتعويض	١٠٦
من خصائص الكناية	١٠٨
تدريبات	١١٠
- علم البديع	١١٥

– البديعيات ١١٧
– من موضوعات البديع المعنوي ١٢٣
الطباق ١٢٣
المقابلة ١٢٧
حسن التعليل ١٢٩
التورية ١٣١
المذهب الكلامي ١٣٤
المزاوجة ١٣٦
المشاكلة ١٣٧
مراعاة النظير ١٣٨
الإرصاد ١٤٠
حسن الابتداء ١٤١
حسن الانتهاء ١٤٢
حسن التخلص ١٤٣
المبالغة ١٤٤
اللف والنشر ١٤٧
العكس والتبديل ١٤٨
تأكيد المدح وعكسه ١٥٠
– من موضوعات البديع اللظفى ١٥١
الجناس ١٥١
السجع ١٥٧
رد العجز على الصدر ١٥٩
لزوم ما لا يلزم ١٦١
المواربة ١٦٣
التشريع ١٦٤
تدريبات ١٦٦
- خاتمة ١٧٢
- المصادر والمراجع ١٧٣
- الفهرس ١٧٥